D e j a v u

ديجافو

رواية

محمد حسن

- هيا يا سكونوت.

- حسنا.

- السائل بدأ يسخن.

***

كانت الشمس حارقة جدا و الرمال تحته ساخنة حين بدأ يفتح عينيه.

"أين أنا؟ ما هذا؟".

بدأ يفتح عينيه بصعوبة ولم يستطع الرؤية جيدا بسبب أشعة الشمس ولكنه يعلم أنه بالتأكيد لم يستيقظ في بيته اليوم.

"كيف جئتُ إلى هنا؟".

بدأ يحاول الاعتدال و الجلوس ولكن ما أن حاول ذلك حتى شعر بألم شديد يفتك برأسه.

- آاااه.

صرخ فانتبه له أحد العمال في تلك المنطقة.

- سيدي، هذا الرجل يتألم، أأذهب للاطمئنان عليه؟

- انتظر سآتي معك.

انطلق مهندس البناء وأحد العمال ناحيته.

- سيدي ماذا حصل؟ غير مسموح لك بالتواجد هنا، هذه منطقة عمل ولدينا مشروع لننفذه هنا، أنت تعرض نفسك للخطر هكذا..

بدأ راميرد يفتح عينيه ورفع رأسه فرأى هذا المهندس بخوذته البيضاء وبجانبه هذا العامل الكبير في السن الذي يسبح الشقاء في كل تفصيلة من ملامح وجهه.

- أنا.. أنا آسف ولكن.. أنا فعلا لا أعرف كيف دخلت إلى هنا.

- ما اسمك سيدي؟

- اسمي..

ظل صامتا لبضع ثوان فقال له المهندس:

- نعم.. هل ستخبرني به؟

- أنا.. لا أعرف..

سكت المهندس لبضع ثوان ثم التفت إلى العامل وهمس له:

- يبدو أن هذا الفتى قد سَكِرَ حتى الثمالة ودخل ونام هنا دون أن نراه ولا يذكر حتى اسمه.

هز العامل رأسه موافقا فقال المهندس لراميرد:

- سأضطر إلى طلب مغادرتك من هنا حالا يا سيدي، هذا ليس مكانا للتنزه كما تعلم.

كانت منطقة العمل هذه منطقة صغيرة حولها سور من الألواح الحديدية الضخمة بين طريقي شارع ضخم، كان يمكن لراميرد سماع صوت السيارات حولهم من الداخل، ولكنه لم يعلم بالطبع كيف انتهى به الأمر بالداخل واستيقظ هنا.

- حسنا حسنا.. سأغادر..

- هل تذكر أين تعيش سيدي؟

- آمممم.. أعيش في..

كان يحاول التذكر ويضغط على نفسه حقا ولكنه لم يذكر شيئا، وبدأ رأسه يؤلمه من جديد.

- آااااه..

أمسك برأسه وبدأ في التألم من جديد.

- لا عليك لا عليك، ابق معه يا ليتوا وساعده في أن يصل إلى بيته سالما، لا يهم كيف دخل إلى هنا الآن.

- حسنا سيدي.

- أعط ليتوا بطاقتك الشخصية يا سيدي، لنعرف أين تسكن.

لم يجبه راميرد وكان لا يزال يتألم بشدة، ذهب المهندس لإتمام عمله وتركه مع ليتوا، قال ليتوا لراميرد:

- سيدي، هلا أعطيتني بطاقتك الشخصية لنعرف أين تسكن ولتعود إلى بيتك؟

- حسنا..

مد يده في جيبه وأخرج المحفظة، ظل يبحث فيها حتى وجد بطاقته الشخصية.

- تفضل.

- شكرا سيدي.

بدأ الألم يخف في رأس راميرد وبدأ ليتوا يقرأ العنوان.

- بيتك ليس قريبا سيد راميرد.

- ماذا؟

- ما الأمر؟

- من راميرد؟

- أنت يا سيدي!

- هل اسمي راميرد؟ دعني أرى.

ناوله ليتوا البطاقة وهو يشير إلى صورته.

- ها أنت يا سيدي صورتك واسمك، تعيش في منطقة حي النور، ليست قريبة من هنا كما تعلم.. أو بالأحرى كما لا تعلم.. سيدي هل أنت حقا لا تذكر اسمك ولا منطقة سكنك؟

التفت راميرد إليه بعد أن تأكد من اسمه وحرك رأسه بالنفي.

- سيدي هل تذكر من أنت وماذا تعمل؟

- كلا..

- يا إلهي.. انتظر هنا لحظة يا سيدي ولا تتحرك أرجوك.

- وأين يمكنني الذهاب أصلا؟

قام ليتوا ذاهبا إلى المهندس يخبره بشأن راميرد، بدأ راميرد يحاول التذكر ويسأل نفسه: "ما الذي حصل يا ترى؟ كيف وصلت إلى هنا؟ ولماذا لا أتذكر شيئًا؟ ومن أنا يا ترى؟".

كان يشعر بالتيه الكامل ولا يستطيع تذكر أي شي حدث قبل لحظة استيقاظه، فكر في محاولة الاتصال بأحد معارفه ليساعده ولكن الهاتف كان مغلقا بكلمة سر فلم يستطع فتحه لأنه لا يذكرها".

- نعم يا سيدي، لا يذكر أي شيء مطلقا، يبدو أن شيئا سقط على رأسه أفقده ذاكرته أو شيئا كهذا.

وضع المهندس يده على فم ليتوا هامسا:

- شششش اسكت يا رجل، هل تريد أن توقعنا في مشكلة بلا سبب؟ لا دليل على ذلك والرجل نفسه لا يذكر، أغلق فمك ودعني أتصرف، حسنا؟

- حسنا سيد ماراي..

- ولا تفتح فمك بهذا الموضوع أمام أي أحد، وإن رآه أحد وسألك "ما كان خطبه؟" أخبرهم أنه شخص عادي دخل ونام هنا وأخبرناه أن يرحل فحسب، فهمت؟

- فهمت سيدي..

- جيد، والآن سأرى ما مشكلة هذا الأحمق.

بينما كان راميرد يكلم نفسه أتاه المهندس قائلا:

- سيد..

- آاه.. راميرد، اسمي راميرد.

- سيد راميرد، لقد عرفت عنوانك الآن، صحيح؟

- آاه نعم، أعني كلا..

نظر إليه المهندس مستفهما فأجابه راميرد:

- لقد عرفت العنوان ولكني لا أعرف أين هو..

تمالك المهندس نفسه وقال له:

- أرني بطاقتك.

أعطاه إياها وقرأ العنوان وبدأ يصف له مكان بيته وماذا يركب، لم تكن لدى راميرد أي فكرة عن المناطق التي يتكلم عنها هذا الرجل، وبينما كان المهندس يشرح له الطريق كان لا يزال يحاول تذكر كيف جاء إلى هنا، ما دام بيته بعيدا لهذه الدرجة.

وصف له المهندس كيفية العودة إلى بيته وأخبره أنه حين يصل إلى أهله ومعارفه سيساعدوه فيما بعد، وحذره من أن يخبر الجميع بحالته حتى لا يستغلوه ويتلاعبوا به.

- ولماذا قد يفعلوا ذلك؟

- هل تعرف كم من الذين فقدوا ذاكرتهم تم التلاعب بهم واستغلالهم لأغراض شخصية؟

- ماذا؟ وما الذي يجعل شخصا مقربا مني يؤذيني بهذا الشكل؟

- وكيف ستعرف المقرب من غير المقرب؟ أنت لا تذكر شيئا، نسيت؟

شعر راميرد بالخوف الشديد ولكنه تمنى أن يسير الأمر على ما يرام وشكر المهندس وعاد الآخر ليكمل عمله.

- هل عرف طريق منزله يا سيدي؟

- نعم، اسكت الآن وأكمل عملك وانسَ ما حصل، مفهوم؟

- نعم يا سيدي..

بدأ راميرد ينفض الرمال والتراب عن جسده وملابسه وخرج من هذه المنطقة المغلقة، كان الطريق ضخما جدا والسيارات تنطلق بسرعة فيه، ولكنها كانت منطقة مليئة بالمباني والمحلات فلم يبدُ انها من المناطق النائية.

" والآن ماذا؟ نعم، أعبر هذا الشارع وأ..".

- احذر!

تراجع للوراء بسرعة، كان هذا سائق دراجة يقود بسرعة جنونية مر بجانبه.

"يا إلهي.. ركز يا راميرد ركز.. لا تريد التعرض لحادث آخر.. والآن أين كنا؟ نعم، بعد هذا الشارع سأركب إلى منطقة الملك الخالد، كلا كلا منطقة حي النور ثم شارع الملك الخالد، ثم سأسأل على شارع مايتا مايا.. نعم، وأنا أسكن في المبنى السابع، سأتأكد من جديد حين أصل هناك، فلتبدأ الرحلة الآن".

بدأ يعبر الشارع وهو ينظر في كل الاتجاهات، لم يعرف حتى كيف كانت شخصيته قبل فقدانه للذاكرة وهل كان دائما كثير الخوف والتوتر هكذا؟ لا يعرف أي شيء الآن.

عبر الطريق ودخل الشارع المقابل الذي أخبره المهندس أن يدخله.

"جيد، تمت أول خطوة، جيد.. سأصل إلى بيتي قريبا..نعم.. جيد..".

كان يشعر بالهلع لذلك ظل يطمئن نفسه طوال الوقت ويتحدث مع نفسه ليشعر ببعض الأنس.

كان يسير ويشعر بالخوف من كل نظرة ينظرها أحد إليه، كان شعوره بالأمان مـ..

- عذرا سيدي هل تـ..

- ماذا؟! ما الأمر؟ ماذا تريد؟

صُعق الرجل من رد فعل راميرد ثم أكمل:

- كنت سأسألك فقط "كيف أذهب إلى محطة القطار الموجودة هنا؟"!

- لا أعرف..

ترك الرجل وانطلق بعدما لفت نظر جميع الناس برد فعله المفزع.. ولكنه كان يشعر بالهلع حقا، كان بسبب عدم تذكره أي شيء- يخشى أن يستغل الجميع حالته ويتلاعبوا به، وبالطبع سيصدق أي أحد لأنه لا فكرة لديه عن أي شيء مطلقا.

"أكمل سيرك يا راميرد، أكمل سيرك ولا تلتفت إلى أي أحد.. لا ترد على أحد ولا تـ..".

قاطع رنين هاتفه أفكاره فأخرج هاتفه بسرعة من جيبه، نظر إلى الاسم فوجد أن المتصل اسمه (ريلبي)، تمنى أن يكون أحد المقربين إليه ليساعده.

- مرحبا..

- مرحبا سيد راميرد.. تستمتع بوقتك صحيح؟ كم مرة سيكون علي تحمل تصرفاتك ولا مبالاتك هذه؟ اتصل بي أخبرني أنك ستغيب غدا حتى آخذ احتياطاتي، ولكن أذهب إلى المدرسة وأرتب جدول يومي كله ثم تقرر حضرتك فجأة أنك تريد إكمال نومك اللعين ولا تتحمل عناء إخباري في مكالمة واحدة أنك ستغيب لسبب ما؟ ما عذرك؟ هيا أخبرني، لماذا غبت اليوم؟

- سيد ريلبي أنا..

- أتعلم؟ لا أريد سماع أعذارك التافهة، غدا في السابعة صباحا ستكون جالسا أمامي في مكتبي، إن جئت في السابعة ودقيقة فأنت مفصول، وداعا.

- سيد ر..

أغلق السيد ريلبي المكالمة بعد جملته الأخيرة ولم ينتظر حتى سماع رد راميرد.

"لقد أغلق الوغد في وجهي! لقد أنهى كلامه وأغلق بدون حتى أن يعرف حالتي!".

كان راميرد يتمنى لو يستطيع الاتصال بأحد ما ولكن الهاتف كان محميا بكلمة سر.

"تبا.. تبا تبا تبا، هذه حالة مزعجة جدا، يا إلهي..".

قرر أنه سيكمل سيره وسيحاول أن لا يفكر كثيرا في مدى سوء حالته.

***

- هل تظن أن نولير سيكون بخير؟

- لماذا تسأل؟

- أشعر بالقلق عليه..

- لا، لا عليك، الأمر آمن تماما.

- تظن؟

- كلا.. أنا متأكد.

***

وصل راميرد إلى المكان الذي سيركب منه السيارة وسأل السائق:

- هل ستذهب إلى منطقة حي النور؟

- نعم، اركب.

- شكرا.

ركب السيارة وكان يشعر بالخوف ممن حوله، يخاف أن يتكلم الناس في شيء يعرفه الجميع ويظهر أنه لا يعرفه ويعرفوا عن حالته، يخاف أن يراه أحد له علاقة به ويرى أنه لا يتذكره فيعرف حالته، كان على يقين أن الجميع سيستغله أسوأ استغلال حين يعرفوا حالته.

مرت نصف ساعة يسبح فيها راميرد في عقله محاولا تذكر أي حدث ولو بسيط عن ماضيه.. حتى تذكر أحد المواقف..

- ولكن عزيزي.. هل أنت متأكد أنك تريد فعل ذلك؟

- نعم بالتأكيد، حبيبتي نحن نعمل على هذا المشروع منذ حوالي سبعة أشهر، وأخيرا بدأنا نصل لإشارات مبشرة أن هذا الأمر سينجح، ادعميني في هذا أرجوكِ كما تدعمينني دوما.

سكتت قليلا ثم قالت:

- سيسعدني بالطبع أن أدعمك ولكن.. أنا أشعر بالخوف عليك حقا.. ألا.. ألا تشعر بذلك؟

ثم بدأت تبكي وبدأ يطمئنها.

- حسنا سنعقد اتفاقا، سأكون معك عن طريق الهاتف كل ساعتين، لتكوني في اطمئنان تام عليَّ، هل يعجبك ذلك؟

هدأت وابتسمت قائلة:

- نعم.. يعجبني ذلك.

- حي النور؟

- ماذا؟

- الذي يريد حي النور، هنا حي النور.

- حسنا أشكرك أشكرك.

نزل من السيارة وتوقف على جانب الطريق يتذكر ما رأى منذ قليل، كان يشعر بالسعادة أنه أخيرا تذكر شيئا ما، ولكن.. من هذه؟

- سيسعدني بالطبع أن أدعمك ولكن.. أنا أشعر بالخوف عليك حقا.. ألا تشعر بذلك؟

لم يستطع تذكر كل ملامحها، ولكنها كانت امرأة ذات شعر بني ناعم، وعينين واسعتين، لم يتذكر باقي ملامحها ولكنها كانت جميلة جدا، ولكن من هي يا ترى؟ يبدو أنها زوجته..

- حسنا سنعقد اتفاقا، سأكون معك عن طريق الهاتف كل ساعتين، لتكوني في اطمئنان تام عليَّ، هل يعجبك ذلك؟

"نعم.. هي بالتأكيد زوجتي.. يا إلهي! ستُصعَقُ حين تعلم ما حل بي.. يا إلهي..".

بدأ يتوتر بشدة من جديد وشعر بالكثير من الحزن على حاله ولكنه قرر الإكمال في طريقه وترك كل شيء وراءه الآن حتى يصل إلى بيته.

"حسنا.. حي النور.. الآن سأسأل على شارع الـ..ملك؟ لا أذكر".

أخرج بطاقته الشخصية ونظر إلى عنوانه.

"المبنى السابع.. شارع مايتا مايا.. منطقة حي الـ.. لحظة واحدة".

انتبه أن العنوان ليس في حي النور وإنما في منطقة تُدعى (بئر البُكا).

"لابد أن هذه مزحة، اللعنة! ما الذي يحصل هنا؟ هل قرأ اللعين العنوان بشكل خاطيء؟ تبا كان علي التأكد مما قاله بنفسي".

جلس على حافة الرصيف وبدأ يشعر بالشفقة الشديدة على حاله.

"هل تلاعب هذا الوغد بي؟ أنا لا أعرف حتى إن كانت بطاقتي أم لا، أنا لا أعلم حتى كيف أبدو".

قام وتحرك ناحية إحدى السيارات المتوقفة على جانب الطريق ونظر في مرآتها وأخرج بطاقته وبدأ ينظر إلى وجهه.

"نعم.. هو وجهي، إذن لماذا خدعني هذا اللعين؟ لحظة ما هذا الخدش؟ ما الذي جرحني في وجهي؟".

- أنت يا رجل! ماذا تفعل؟ ابتعد عن السيارة.

- ماذا؟

التفت إلى يساره فوجد رجلا واقفا في شرفته في الطابق الأول ويبدو غاضبا.

- قلت لك "ابتعد عن السيارة".

لم يستطع راميرد الرد على الرجل ووضع بطاقته في جيبه ورحل.

***

كان يسأل الناس عن طريقه حتى وصل إلى عنوانه المكتوب على بطاقته بعد الكثير من العناء.

"الآن هذا المبنى الذي أعيش به.. كيف لا أذكره وأنا واقف أمامه؟ حسنا لا بأس، ولكن بأي شقة أسكن؟ يا إلهي هل سأسأل جيراني وأقول لهم :"عذرا ولكن بأي شقة أسكن؟" تبا لهذه الحالة

البغيضة وهذا الضياع التام، ما الذي أصابني يا ترى وأدخلني في كل هذا؟".

- نعم أبي أراك، مرحبا.. هل تراني؟

- نعم عزيزتي أراكِ تلوحين هناك ها أنتِ، هل لبستِ ملابس النزهة؟

- نعم، أمي ساعدتني، وأخبرتني أننا سنذهب حين تنتهي من عملك مباشرة.

- حسنا هيا انزلي مع أمك لكي نذهب، هيا توقفي عن التلويح لقد رأيتك هيا حتى لا نتأخر.

صدمته الذكرى فجأة وهو واقف أمام بيته ينظر إلى تلك النوافذ.

"يا إلهي أنا أذكر هذا البيت فعلا، وأذكر هذه النافذة.. نعم.. هنا كانت ابنتي تنظر إلي في هذا اليوم، لابد أنهم سيحزنون على فقداني لذاكرتي كثيرا..".

عرف أن شقته في الطابق الرابع، عندما حاول دفع باب المبنى وجده مغلقا.

"عظيم.. يوم رائع فعلا".

بدأ يبحث عن مفاتيح في جيبه وحينها لمحه الحلاق كريستو.

- سيد راميرد، ألا تجد مفاتيحك؟

حاول أن يبدو طبيعيا جدا ويتظاهر أنه يعرفه ويعرف الجميع بقدر المستطاع.

- لا يا صديقي لا عليك، سأجدها بإذن الله.

- ماذا حدث مع ابنة صديقك؟

نزل السؤال عليه كالصاعقة، هذا بالضبط ما كان يخاف منه، أن يسأله أحد عن شيء من المفترض أنه يعرفه.

- أعتذر يا صديقي أنا متعب قليلا، سأتحدث معك لاحقا إن شاء الله.

ظل يبحث في كل جيوبه حتى وجد سلسلة مفاتيح.

"يا إلهي أخرجني من هذا الموقف أرجوك..".

كان يشعر بالخوف الشديد برغم أن الحلاق قد سكت بعدما أخبره راميرد أنه متعب ولكنه ظل مرعوبا أن ينفتح حوار آخر.

دخل البيت بعدما عثر على المفتاح وصعد بسرعة على السلالم فتعثر وسقط ولكنه قام سريعا وتمنى أن أحدا لم يسمع سقوطه فيكلمه، صعد بسرعة حتى وصل للطابق الرابع وكانت هناك شقة واحدة في كل طابق، ظل يحاول فتح الباب ويبدل مفتاحا تلو الآخر حتى انفتح الباب، دخل بسرعة وأغلق الباب خلفه وجلس على الأرض بجانب الباب يلتقط أنفاسه.

كانت الأنوار مطفأة ولكن ضوء الشمس كان يملأ الشقة حيث يتسرب من بين فتحات النافذة الصغيرة، بدأ ينظر حوله وهو يحاول التعرف على أي شيء ولكنه لم يذكر أي شيء.

قام بعد أن التقط أنفاسه ليدخل غرفته ويتعرف على هويته وحياته، وبدأ يتساءل وهو في طريقه إلى غرفته:

"أين زوجتي؟ أين عائلتي؟ أين ذهبوا يا ترى؟".

ظلت الأسئلة تدور برأسه وبدأ يشعر بسخونة في عينيه تبعتهما دمعة حارقة وهو يشفق على حاله.

دخل أول غرفة قابلها وكان الظاهر أنها غرفة مكتبه، كانت غرفة صغيرة تحتوي على مكتب متوسط الحجم فوقه بعض الأوراق المرتبة بعناية وبعض الكتب التي تتخلل صفحاتها علامات لإكمال القراءة، وأمامه كرسي خشبي قديم يبدو أنه عانى من كثرة الجلوس عليه، يبدو أنه كان يقضي أغلب وقته هنا.

كانت الأرفف تملأ هذه الغرفة ولم يكن هناك مكان بالأرفف لتضع كتابا واحدًا، استنتج أنه كان شخصًا يحب القراءة وكان شغوفًا بها.

"لابد أنني كنت شخصًا مثقفًا! يا للحسرة على ضياع كل ذلك مني..".

كان يتصفح كل شيء كأنه يراه لأول مرة، حتى وقعت عيناه على فنجان موضوع على مكتبه كانت به بقايا قهوة.

- سلمت يداكِ يا حبيبتي.

ابتسمت ووضعت الفنجان على مكتبه ثم أمسك بيدها وقبلها.

- إذا أردتَ أي شيء آخر أعلمني.

- لا حرمني الله منكِ عزيزتي.

- كنت أريد الجلوس معك ولكني أعلم أنك لا تحب أن يقاطع أحد أفكارك وأنت تكتب رواياتك الخيالية تلك.

ابتسم قائلا:

- ألا تعجبك رواياتي يا سيدتي؟

ضحكت قائلة:

- بل تعجبني، ولكن لا يعجبني أنها تأخذ مني زوجي يوميا بالساعتين والثلاث.

- لا بأس يا حبيبتي سأنهي فنجان القهوة وأجلس معكِ بقية اليوم، هل يعجبك ذلك؟

- نعم..

ثم اتسعت ابتسامتها وهي تقول:

- يعجبني ذلك.

أفزعه رنين هاتفه الذي قاطع أفكاره بصوته المزعج.

- لابد أنه شخص يعرفني، حمدا لك يا رب.

أخرج هاتفه بسرعة من جيبه ونظر للاسم فوجده (ريلبي).

"تبا، سألقن هذا اللعين درسا".

- مرحبا راميرد أردت أن..

- اسمع أيها الرجل، لقد اتصلت بي اليوم حين كنت في أسوأ حالاتي وظللت تتكلم عن شيء لا أعرفه و..

- اهدأ يا را..

- اخرس واسمعني أيها العجوز، أجبني أولا.. ما الصلة التي تربطك بي؟

- عن ماذا تتـ..

- أجب حالًا!

- ماذا بك يا راميرد؟ أنا ريلبي مديرك..

- مديري في ماذا؟

- في المدرسة، ما بك؟ هل فقدت ذاكرتك؟

"تبا، ليس لدي خيار إلا الوثوق بهذا الوغد، إنه الوحيد الذي يبدو مقربًا لي حتى الآن".

- اسمعني.. يبدو أني حدث لي حادث أفقدني ذاكرتي بالفعل، أنا لا أعرفك ولا أعرف شيئًا عن هذا العمل ولا أعرف من أنا، هل ستساعدني؟

ظل ريلبي صامتا لبضع ثوان فأعاد راميرد:

- هل ستساعدني أم لا أيها الرجل؟

- راميرد هل تمزح؟

- أيها المغفل! من الذي يمزح مزاحا كهذا؟ لقد فقدت ذاكرتي أيها اللعين!

- اهدأ اهدأ يا راميرد ما بك؟ أنت لم تكن هكذا قط!

- أنا لا أعرف كيف كنت أصلا! هل ستساعدني أم أحظر هذا الرقم اللعين إلى الأبد؟

- يا رجل اهدأ! ما المشكلة؟ نعم سأساعدك بالطبع ولكن اهدأ..

- ما المشكلة؟ المشكلة أيها اللعين أني فقدت هويتي وحياتي ولا أعرف شيئًا عن نفسي ولا عن حياتي ولا عن عائلتي ولا أعرف شيئا عن ماضيَّ، وآخر ما أنتظره أن يخبرني أحمق ما أنه يظنني أمزح.

كان راميرد يحول كل الحزن والخوف والضياع بداخله إلى غضب يبثه في وجه المسكين ريلبي الذي ليس له ذنب في كل هذا.

- لا لا عليك لا عليك سأساعدك على التذكر، أين أنت الآن؟

- أنا في بيتي.

- كيف وصلت إلى بيتك؟

- هل هذا ما يهمك الآن؟ حقا؟

- حسنا حسنا لا عليك، سآتي إليك الآن.

- حسنا، وداعا.

- ودا..

أغلق المكالمة وجلس غاضبا حتى انهار في البكاء من جديد وهو يحاول إجبار ذاكرته على تذكر أي شيء عن هويته وحياته.

بعدما جلس يبكي لمدة عشر دقائق قام وغسل وجهه ولفتت نظره عبوة كانت فوق حوض الحمام، أمسكها وبدأ يقرأ ما عليها فوجد أنها عبوة مسحوق نسائية لتجميل الوجه.

- بالتأيد أنها تخص زوجتي!

طُرق الباب فوضع العبوة مكانها على الحوض وذهب ليفتح الباب.

- من؟

- إنه أنا ريلبي يا راميرد، افتح.

- حسنا..

فتح الباب فوجد أمامه رجلًا يبدو أنه تجاوز الخمسين من عمره ويبدو مهندم الشكل وشعره يغلب عليه البياض وكان طويلا ذا جسم قوي.

- تفضل..

دخل ريلبي البيت بعدما سلم على راميرد وجلس على أقرب كرسي، شعر راميرد بالخجل بينما كان يغلق الباب لأنه أهان هذا الرجل الكبير كثيرا بلا ذنب، وها هو أمامه الآن، قاطع صوت أفكاره صوت ريلبي:

- ما الأمر إذن يا راميرد؟ ماذا حدث لك؟

- أنا.. لا أعرف، فقط لا أذكر أي شيء.

جلس على الكرسي المقابل لضيفه ورأى الخوف والشفقة على وجه ريلبي وهو يسأله:

- ولكن.. أليس هناك ما يدلك على ما حصل؟

- كلا..

- ألا تذكر أي شيء مطلقا؟ لا تذكر عملك ولا أصدقاءك ولا أي شيء؟

- كلا، ولا غير ذلك.

- ما أول ما تذكره بعد فقدانك لذاكرتك؟

- كنت مستلقيا على رمال في منطقة حفر وعمل على مشروع ما وأخبرني العمال عن كيفية الوصول إلى بيتي.

- وكيف عرفوا بيتك؟

- بطاقتي الشخصية..

- نعم.. منطقي.. ولكن كيف لم يرك أحد منهم قبل استيقاظك؟ لابد أن الذي أفقدك ذاكرتك حصل بالداخل.. وإلا لكنت تذكرته.

ظل راميرد يفكر قليلا في كلام ريلبي الذي بدا مقتنعا ولكنه قطع أفكاره وقال:

- اعذرني ولكن ما الفائدة مما تقول؟

- يهمني أن أعرف ما الذي فعل بك ذلك، ثم ألا تذكرني بتاتا؟

تضايق راميرد من كثرة تكرار سؤال "ألا تذكر؟" فزفر وقال:

- أخبرتك أني لا أذكر شيئا سيد ريلبي..

- حسنا حسنا.. سأحاول أن أساعدك بقدر المستطاع على استعادة ذاكرتك من جديد اتفقنا؟

- حسنا..

بدأ ريلبي يحكي لراميرد عن مواقف حصلت في حياته وأحداثا كبيرة حتى يمسك بطرف حدث منها فيبدأ تذكر شيء تلو الآخر.. ولكن راميرد لم يتذكر أي شيء منها مطلقا.

- حسنا لن أخبرك بأحداث من جديد، حاول أنت تذكر أي شيء كان حتى نبدأ منه.

ثم تذكر راميرد فجأة.

- هناك شيئا تذكرته اليوم!

- قل ما هو.

- تذكرت ابنتي وأنا واقف أمام البيت اليوم، حمدا لله أني أذكر شيئا، سيكون هذا طرف خيط ليساعدني في تذكر الباقي، صحيح؟

كان ريلبي ينظر إلى راميرد بتعجب بالغ فتوتر راميرد.. ثم قال له:

- ما الأمر سيد ريلبي؟

- راميرد أنت ليست لديك ابنة، لست متزوجا حتى!

***

(2)

- أنت تمزح، صحيح؟

- هل ترى أن هذا موقفا مناسبا للمزاح؟ أنت غير متزوج يا راميرد، أنت أعزب منذ عرفتك.

- ومنذ متى تعرفني؟

- أنت تعمل في المدرسة عندي منذ سبع سنوات.

ظل راميرد صامتا لبعض الوقت يحاول تجميع أفكاره حتى تذكر مشهدًا آخر.

- هيا يا عزيزتي ستتأخرين عن حضانتك.

- أنا خائفة..

- ولمَ يا عزيزتي؟

- لا أريد الذهاب.. لا أريدها، لن تكون هناك أنت ولا أمي..

كان يبدو على وجهها الخوف الشديد ولكنها كانت تحاول التماسك.

- لا بأس في هذا يا عزيزتي.. هناك المعلمة ستعتني بك كأمك تماما لا تخافي، والمعلم سيعتني بك مثلي.

- كلا.. ليسا مثلكما..

ابتسم وقبل رأسها وقال:

- ستعتادين يا عزيزتي أنا أعدك.. أول يوم فقط هو الصعب..

- أبي تعال معي.. لا تتركني أرجوك..

- لدي ابنة يا ريلبي! أنا أذكرها، أخذتها للمدرسة في أحد الأيام أذكره، ما بك يا رجل؟ لماذا تخفي عني شيئًا كهذا؟

- ولماذا قد يفعلوا ذلك؟

- هل تعرف كم من الذين فقدوا ذاكرتهم تم التلاعب بهم واستغلالهم لأغراض شخصية؟

- ماذا؟ وما الذي يجعل شخصا مقربا مني يؤذيني بهذا الشكل؟

- وكيف ستعرف المقرب من غير المقرب؟ أنت لا تذكر شيئا، نسيت؟

- راميرد هل تمزح؟ هل تظن أني سأخفي عنك شيئا؟ ثم أنك فاقد لذاكرتك الآن، كيف ستذكر أنك كانت لديك ابنة أصلا إن كانت لديك؟

- أنا أذكر بعض اللقطات من حياتي، تذكرت اليوم زوجتي وابنتي وبعض الأشياء..

- مثل ماذا؟ يمكن أن نمسك بإحدى هذه الذكريات كطرف خيط كما تعلم، بشرط أن تكون حدثت بالفعل ولست تتخيلها..

سكت لثانية ثم قال:

- تعال معي..

قام راميرد وذهب ناحية غرفة مكتبه وقام ريلبي وراءه.

- أترى هذا الفنجان؟

- نعم.

- أذكر اليوم الذي شربته فيه والموقف كذلك، زوجتي أعدته لي وكنت جالسا أكتب قصة أو شيئا كهذا.

- قصة؟

علا ضحك ريلبي وقال:

- أنت؟ تكتب قصة؟ لم أسمع عن ذلك من قبل.

ظهر الضيق على وجه راميرد ثم قال له:

- بل قالت زوجتي أني أكتب روايات..

- روايات أيضًا؟ وزوجتك؟

ظل ريلبي يقهقه وهو يخرج من الغرفة عائدا إلى مقعده.

- أنت تتخيل أشياء لم تحدث يا صديقي أنا أخبرك..

غضب راميرد من استهزاء ريلبي به ثم بدأ يفتش في الأوراق ليرى المكتوب بها.

كانت أغلبها أوراقا فارغة او مطبوعة من على الانترنت فيها معلومات عامة وسِيَر أشخاص، وكانت هناك ورقة مطبوعة مكتوب عليها حـ..

- أتعرف ما هي مشكلتك يا راميرد؟ وهذه كانت فيك من قبل فقدانك للذاكرة، أنك كثير العناد، لا تقتنع بكلام أحد مهما كان مقتعا ما دام مخالفا لما تريد أن تقتنع به.

خرج راميرد من الغرفة وفي يده ورقة قائلا:

- وماذا تسمي هذه؟ هل هذه تخاريف أيضا؟

أمسك ريلبي بالورقة وقرأ ما عليها، كانت ثلاثة كلمات مكتوبة كالعنوان بخط ضخم، (حياة كاتب الروايات).

نظر إليه ريلبي بلا مبالاة وقال:

- ما الذي ينبغي لهذا أن يثبته؟

- ماذا؟ أتمزح؟ أخبرتك أني كنت أكتب روايات!

زفر ريلبي ووضع الورقة على المنضدة بجانبه وقام ووضع كفيه على كتفي راميرد وقال:

- اسمع يا راميرد، لم يكن هناك أحد يعرفك أكثر مني، لم تكن اجتماعيا.. حسنا؟ وليس هناك أحد تستطيع أن تثق به كما تستطيع الوثوق بي، وعندما أخبرك أنك لم تكن تفعل كذا فأنت لم تكن تفعله، هل لديك اختيار غير الوثوق بي؟

سرت رعشة في جسد راميرد، قال بعدها:

- ولكن الورقة تـ..

- لا تهمني أوراق، أنا أعرفك جيدا، ربما كنت تحاول طباعة كتاب ما بهذا العنوان لأي سبب وطبعت العنوان فقط أو.. لا يهمني، ما يهمني الآن أن تعود لك ذاكرتك، حسنا؟

ظل راميرد صامتا وهو لا يعرف ماذا عليه أن يفعل حتى هتف ريلبي:

- الآن هيا جهز بعض الملابس لتأتي عندي في بيتي.

- ماذا؟

- ما الأمر؟

- ولماذا آتي إلى بيتك؟

- هل تريد جميع الناس هنا أن تعرف عن حالتك؟ هل تعرف كم من الناس الذين فقدوا ذا..

- فقدوا ذاكرتهم وتم التلاعب بهم..

- بالضبط، الآن ستبقى معي حتى لا يتواصل معك أحد ويكتشف أمرك.. فقط حتى تستعيد ذاكرتك.

***

- هل تصدق قصة نولير تلك؟

- أي قصة؟

- البئر الذي يبكي الناس عنده.

نظر إليه باستفهام فأوضح له:

- القصة التي أخبرنا إياها عن ذلك البئر الذي كان في قديم الزمان بئرًا مشهورًا وكان يُسمى (بئر البكا).

- بئر الـ.. ما هذا؟

- سمي بذلك لأن الناس وقتها كانت عندهم أسطورة تقول أن هذا البئر مميز بحيث إذا ذهبت عنده وشكوت من مصيبتك وبكيت ونزلت دمعة منك فيه فإن مشكلتك تُحل.

- ما هذا الهراء؟

- نعم كانوا يعتقدون بذلك، وقيل أن هذا البئر لا تزال مياهه مالحة حتى اليوم من كثرة الدموع التي نزلت به.

زفر واتشر وقال:

- الكثير من الناس حمقى لا شك في ذلك.

***

اقتنع راميرد بكلام ريلبي بسبب خوفه الشديد من أن يتعرف عليه أحد ويكلمه وجهز ملابسه استعدادا للذهاب مع ريلبي، لم تكن هناك أي ملابس نسائية في المنزل ولا ملابس أطفال، حتى كاد يقتنع بكلام ريلبي، حتى عندما بحث في غرفة النوم لم يجد إلا أشياء لابد أنها تخصه لأنها ملابس وأدوات خاصة بالرجال.

- هل جهزت كل شيء؟

- نعم نعم لحظة واحدة، أبحث لعلي أجد شيئا مهمًا لم أعلم بوجوده.

ثم تذكر علبة غسول الشعر النسائي التي وجدها في الحمام.

- تعال معي لحظة واحدة..

- ما الأمر من جديد؟

دخل راميرد الحمام وأمسك بعبوة الشعر وعرضها على ريلبي قائلا:

- لماذا لدي غسول شعر نسائي؟

- نسائي؟

- نعم اقرأ ما عليه.

- يا فتى يمكن للرجل استعمال كل هذه الأشياء، لابد أنك اشتريته لنفسك.

- لابد أنك تمزح..

- لماذا؟

- إنه نسائي يا رجل، لماذا قد أستخدم منتجا نسائيا؟

- ربما نـ..

- آاااه.

صرخ راميرد فجأة وأمسك برأسه وسقط على ركبتيه.

- راميرد! ما بك؟

جرى ريلبي ناحيته وأمسك به وكان راميرد يصرخ ويضغط على رأسه كأنه سينفجر.

- راميرد ماذا حصل يا عزيزي؟ يا ألله! ماذا أفعل؟ ما بك يا راميرد؟

سقط راميرد على الأرض وهو ممسك برأسه وخف صراخه وبدأ يفقد وعيه.

- صغيرتنا تكبر..

- نعم.. أشعر بالسعادة الغامرة كلما رأيتها تتعلم شيئًا جديدًا.

- بالفعل وأنا كذلك، البارحة كنت أغسل لها شعرها فقالت: "جميل.. شعري..".

- حقا؟ صغيرتي بدأت تتعلم الكلام؟ يكاد هذا يجعلني أبكي حقا..

- لو كنت تجلس معنا أكثر من ذلك يا أستاذ لكنت تراها أكثر وتراها تتكلم، تكلمت أكثر من مرة، أتعلم ما كانت أول كلماتها؟

- ماذا كانت؟

- قالت :" أ..

- يا راميرد، أرجوك قم.. أرجوك يا أخي لا تقلقني عليك..

- مـ.. ماذا حصل؟

- حمدًا لله حمدًا لله، لقد خفت عليك بشدة، قم قم.. على مهل..

ساعده ريلبي على القيام وأجلسه وقال راميرد:

- لماذا أنت هنا؟

- يا إلهي! لا تقل لي أنك فقدت ذاكرتك من جديد..

- كلا كلا.. أنا أعرفك، أنت ريلبي.. مديري.. ولكن لماذا أنت في بيتي؟

- لحظة واحدة! هل تذكر ماضيك؟ هل عادت لك ذاكرتك القديمة؟

- لحظة دعني.. أتذكر..

بدأ يحاول معرفة ما بداخل ذاكرته فلم يتذكر إلا:

- أذكر العامل والرمال وأذكر أنك اتصلت بي وشتمتك.. وأذكر.. فنجان القهوة و.. العبوة..

- آه.. إذن لم تعد لك ذاكرتك.. هيا قم.

قام راميرد يمشى بينما كان ريلبي يسنده حتى جلس على كرسي وقال:

- لماذا أنت في بيتي إذن؟

- ألا تذكر أنني اتصلت بك وأخبرتني أنك فقدت ذاكرتك وأتيت إليك للاطمئنان عليك؟

ظل راميرد صامتا لبضع ثوان ثم اتسعت عيناه وقال:

- نعم، وأخبرتني أنك تريدني أن أبقى معك حتى أتعافى، صحيح؟

- بالضبط، حمدًا لله أنك لم تفقد المزيد من الذكريات.

- هل سنرحل الآن؟

- نعم، كنت تجهز حاجياتك عندما بدأت الصراخ وأمسكت برأسك..

- نعم أذكر الصداع، شعرت أن رأسي سينفجر فعلًا.

- لا عليك يا صاح، ستتعافى بإذن الله بعد فترة قصيرة، هيا جهز أشياءك لنرحل.

رن هاتف ريلبي وكان رقم ابنته المتصل فأجاب:

- مرحبا صغيرتي.

- سيد ريلبي تعال حالا أرجوك.

- ماذا؟ مَن هذا؟ وما الأمر؟

- أنا نيرا معلمة سلوك لديك، ابنتك في حالة صعبة جدا وأصيبت بدوار وغثيان شديدين فجأة، عليك أن تأتي إلى المدرسة حالا أرجوك، ظللنا نبحث عن رقمك حتى وجدناه الآن أخيرا، أرجوك أسرع بالمجيء..

كانت ابنته تحضر حصة إضافية بعد انتهاء اليوم الدراسي، وعندما رحل ريلبي من المدرسة لم يكن اليوم الدراسي قد انتهى بعد، أخبرته ابنته أنها ستعود للمنزل وحدها.. يعيش ريلبي وحده مع ابنته، وعندما كان ذاهبا لراميرد أخبرها أن تطلب طعاما جاهزا إذا عادت إلى المنزل ولم تجده، ولم يكلمها من وقتها حتى اتصلت به المعلمة.

- ما الأمر سيد ريلبي؟

- يبدو أن ابنتي حالتها سيئة، هي في المدرسة الآن، سأذهب للاطمئنان عليها ثم أعود إليك.

- ولكن.. حسنا..

- ما الأمر؟ حسنًا أتعلم؟ تعال معي، ربما تأتيك تلك الحالة من جديد، يبدو أنه لا أحد هنا يهتم ولن يساعدك أحد، لم يطرق الباب شخص واحد للاطمئنان عليك بعدما صرخت.

- يبدو أنني غير محبوب هنا يا سيد ريلبي..

- لا، الناس لا يهتمون في الغالب، هيا تعال بسرعة، لدي سيارة تركتها بالأسفل.

- هل أحضر حاجياتي؟

- نعم نعم، سنعود من المدرسة إلى بيتي.

- حسنا.

أحضر راميرد حقيبته الضخمة التي كانت في غرفة النوم وكان قد ملأها بالملابس والأغراض، وأخذ عبوة التجميل النسائية معه وكان مترددا ولكنه شعر أن هذه العبوة لها علاقة بماضيه فلم يتخل عنها، لم يكن يرجح أن ريلبي يخدعه، ولكن ما الذي كان بيده إلا الشك في الجميع؟ ومع ذلك سَلَّمَ نفسه له ليس إلا لأنه ليس لديه خيار آخر.

- هل أحضرت كل شيء؟

- أظن ذلك..

- حسنا هيا..

رن هاتف ريلبي من جديد فسأله راميرد:

- من يتصل الآن؟

أخرج ريلبي هاتفه من جيبه ونظر إلى اسم المتصل ثم قال:

- إنه رقم ابنتي كيلتي من جديد.

اتسعت عينا راميرد قائلا:

- كيلتي؟

- كيلتي..

لم ترد عليه وكانت تنظر إلى الناحية الأخرى، جلس بجانبها على السرير وقال:

- عزيزتي.. أنا آسف.. حسنا؟ وأمك أيضًا آسفة..

- أنا لا أحبكما..

- ماذا؟ لا.. لا لا.. لا تقولي ذلك يا عزيزتي.. نحن نحبك بشدة وأنتِ كذلك تحبيننا لا تقولي ذلك.. لا تقولي شيئا سيئا بسبب غضبك أرجوكِ حسنا؟

- لا أريد الكلام معك.. ارحل رجاء..

- عزيزتي..

وضع يده عليها فأبعدتها فأمسك بها وقربها منه قائلا:

- الجميع يخطئ.. صحيح؟ أنتِ أيضًا تخطئين ولكن والدك يسامحك صحيح؟ وكذلك أمك..

- ولكن.. لا أحب الشجار.. أنتما تشاجرتما وأنت أخبرتني أن أبتعد عن الذين يحبون الشجار..

- لا لا.. نحن لا نحب الشجار، نحن أخطأنا وهذا صحيح.. ولكننا والداكِ اللذان يحباتك، حسنا؟ هل تسامحين والدكِ؟

- ماذا حدث لك؟ هل تسمعني؟ ما بك؟ أأرحل أنا لأدعك تحلم كما تشاء؟

- ماذا؟ لا أنا معك.. أنا منتبه..

- ماذا حصل؟ ما الذي جذبك هكذا عندما سمعت اسم ابنتي؟

- ماذا؟ لا لا.. هيا بنا معي الحقيبة.

- بدأت أشعر بالخوف من تصرفاتك الغريبة يا راميرد..

أحضر راميرد حقيبته من الغرفة وانطلق مع ريلبي ذاهبَين إلى مدرسة ابنته.

***

ركبا سيارة ريلبي وسلَّمَ الحلاق عليهما وابتسم راميرد وحياه ثم انطلقا ناحية مدرستها.

- المدرسة التي فيها ابنتي هي المدرسة التي تعمل أنت بها، ربما تتذكر بعض الأشياء إن رأيتها، سبع سنوات ليست فترة قصيرة كما تعلم..

- إذن.. هي مدرستك، صحيح؟

- صحيح، مدرسة المثابرة، الرقم واحد في هذه المنطقة كلها.

- نعم.

- ألا يذكرك الاسم بأي شيء؟

نظر له راميرد وظل صامتا.

- ما الأمر؟

- أنا لم أذكر اسمي حين استيقظت هذا الصباح! كيف أتذكر اسم مدرستك اللعينة؟

- اهدأ يا رجل.. لا تتحول لهذه الشخصية العصبية من جديد، اسمع، أنت لم تكن عصبيا قط، إذا بدوت عصبيا أمام أي أحد سيشعرون أنك قد تغيرت، لا تنس هذا.

- لحظة واحدة، كيف سأظهر أمامهم الآن؟ سيتكلمون معي بلا شك.

- لا لا أنت لن تكلم أحدًا، أنت لن تخرج من هذه السيارة حتى آتي بابنتي، لن ترى أحدًا، لن تكلم أحدًا، ممنوع عليك التواصل مع أي شخص كان.

- ولكن.. في الأيام المقبلة ألن يسأل عني أحد؟ تغيبي ليس شيئا معتادا صحيح؟

- آاه لا تذكرني يا رجل، أنت من أكثر الناس غيابا ولطالما أغضبني هذا بشدة، ولكن لن يسأل عنك أحد في الغالب، أخبرتك أن الناس في الغالب لا يهتمون، ثم أنك لست اجتماعيا هل تذكر؟

نظر إليه راميرد من جديد صامتا فضحك ريلبي وقال:

- بالتأكيد أنت لا تذكر.

***

وصلا إلى المدرسة -ولم تكن بعيدة-، أوقف ريلبي السيارة بجانب سور المدرسة وأخبر راميرد ألا يخرج منها لأي سبب.

- حسنا لن أخرج..

- لا تخرج لأي سبب ولو كنت ترى أحدهم يحترق أمامك.. أتفهم؟

- ولِمَ كل هذا؟

- فقط نفذ ما أقوله لك.

- حسنا يا رجل.. اهدأ قليلا.

- سأعود سريعا.

خرج من السيارة وذهب ناحية بوابة المدرسة وطرق بوابتها ففتح البواب له ودخل ثم أغلق البواب الباب خلفه، كان راميرد

جالسا في السيارة يراقب ما يحصل ثم بدأ بمحاولة تذكر أي شيء من جديد، كانت فكرة أنه لا يذكر شيئًا تصيبه بالهلع حقا، كيف يثق في أي أحد؟ كيف يعرف على سبيل اليقين شكل حياته السابقة؟ وماذا عن عائلته؟ كيف يذكرهم وهم غير موجودين؟

- أعطني عملة يا عم..

- ماذا؟

انتبه ناظرا من نافذة السيارة بجانبه فرأى صبيا متسخ الملابس والوجه واليدين وكان يطلب مالًا.

- حسنا يا صغير.. لحظة واحدة.

أخرج محفظته من جيبه وحين كاد يخرج له بعض المال خطف الولد المحفظة وانطلق كالسهم ضاحكا والسعادة تغمره.

- أيها اللعين الصغير!

حاول راميرد فتح الباب لكن كان مغلقًا ولم يستطع فتحه.

- لا تخرج لأي سبب ولو كنت ترى أحدهم يحترق أمامك.. أتفهم؟

- ولِمَ كل هذا؟

- فقط نفذ ما أقوله لك.

- تبًا ولكنها محفظتي!

ظل ينادي على الناس ليساعدوه ويمسكوا باللص الصغير ولكن الشارع كان شبه خالٍ وحتى الشاب الذي رآه لم يهتم لأمره بتاتًا كأنه لا يراه.

- أخبرتك أن الناس في الغالب لا يهتمون.

كان شعره يكاد يحترق من شده الغضب بداخله وهو يرى الولد الصغير واقفا وسط زملائه اللصوص الصغار في آخر الشارع ينظرون إليه.

- أيها الشياطين الصغار..

انطلق الأولاد يضحكون ثم دخلوا شارعًا آخر، رأى حينها البوابة تنفتح وخرج ريلبي من المدرسة ومعه بنت صغيرة ممسكة بيده، وخرج معه رجلان وامراتان، خمن راميرد أنهم زملاؤه في العمل، خفض نفسه قليلا على الكرسي حتى لا يراه أحد.

ودعهم ريلبي ورآه راميرد قادمًا مع ابنته ليركبا السيارة.

- أيها الغبي لقد كنت سببا في فقداني لمحفظتي.. تبا لك..

كان الغضب ظاهرًا على وجه راميرد ولم يهدأ منذ اختطف منه الولد المحفظة.

كان ريلبي يقترب ناحيته خطوة خطوة و ملامح البنت تتضح مع كل خطوة تخطوها.. وبدأ راميرد يثبت عينيه على وجهها وكلما خطت خطوة بدأت ملامحها تتضح له.. هو يعرف هذا الوجه.. يعرفه بشدة.. إنه وجه مألوف بلا شك!

- أتعلمين؟ عندما أنظر إليكِ أكون سعيدًا..

اتسعت ابتسامتها وعيناها وقالت:

- هل هذا حقيقي فعلًا؟

- جدًا جدًا، وجهك يزرع السعادة في قلبي..

- أبي..

احتضنته قائلة:

- أحبك.. أحبك كثيرًا..

- وأنا أيضًا عزيزتي.

- أبي.. هل يمكن أن أطلب منك شيئًا بما أنك تحبني؟

- اطلبي حبيبتي.

- إنه أمر يخص مشروعك في العمل..

- يا إلهي.. من جديد؟ تريدينني أن أتركه، صحيح؟

- أبي أنا أخاف عليك..

- وكذلك أمك، حتى أقنعتها أنه لا خطر في الأمر.. هي من أخبرتكِ صحيح؟

- هل كنت تريدها أن تخفي ذلك عني؟

- اركبي في الخلف يا كيلتي، الأستاذ راميرد معي هنا.

انتبه راميرد إليهما ثم نظر خلفه فرآها تدخل من باب السيارة وركب ريلبي في نفس اللحظة، جلست وعينه لم تفارق وجهها، لم تكن كيلتي قد رأته قبل دخول السيارة إذ أن عادتها النظر للأسفل طوال الوقت، ولكن بعد أن جلست وأغلقت باب السيارة نظرت إلى الكرسي المجاور للسائق ورأته..

رأت راميرد ينظر إليها محدقًا وكأنه يتذكر شيئًا ما.. يتذكر وجهًا يشعر أنه يعرفه.. كان وجهها مألوفًا إليه بشكل يصعب أن أصفه، كانت عيناه تجوب في كل تفصيلة من تفاصيل وجهها.. إنه يعرف هذا الوجه وبكل تأكيد.. ظلت تنظر إليه وهو ينظر إليها ولم تتكلم حتى قالت:

- أبي..

(3)

- أبي..

اتسعت عينا راميرد ثم سمع صوت ريلبي يقول وهو يلتفت للخلف:

- ما الأمر يا عزيزتي؟

- لماذا ينظر إلي أستاذ راميرد بشكل غريب؟

نظر ريلبي إلى راميرد فبادله راميرد النظر وقال:

- لقد.. تذكرت شكلها فحسب.

تهلل وجه ريلبي وابتسم قائلًا:

- هل هذا صحيح؟ تذكرتها بالفعل؟

ثم التفت لابنته قائلا:

- لقد تذكركِ يا عزيزتي.

ابتسمت ابتسامة صفراء لتتظاهر بالفرح بينما لم تتكلم، لم تكن تشعر بالارتياح أبدًا في وجوده الآن بعد هذه النظرات المخيفة وهذا التحديق المريب..

- والآن إلى المنزل.

انطلق ريلبي مع راميرد وكيلتي إلى بيته لتبدأ فترة بقاء هذا الشخص غريب الأطوار معهما.

***

وصلوا إلى بيت ريلبي وبمجرد أن دخلوا الشقة دخلت كيلتي إلى غرفتها وأغلقت الباب.

- تعال يا راميرد سأريك غرفتك..

سار راميرد خلف ريلبي في ردهة صغيرة ثم أشار على غرفة كبيرة عن يمينهما قائلًا:

- هذه غرفتك الجديدة.

لم يعلم راميرد أيسعد بقرار ريلبي أن يعيش معهما مؤقتا حتى يستعيد ذاكرته أم لا، لم يكن يشعر بالأمان مطلقًا هنا..

هو حتى الآن ليس متأكدًا حتى مما قاله له هذا الشخص الذي يقول أن اسمه ريلبي وأنه مديره، ليس متأكدًا من أي شيء قاله، كل ما باستطاعته أن يصدقه وحسب، فليس لديه خيار آخر..

***

جزء يحكيه راميرد..

لست أكذب.. أنا حقا لا أعلم كيف استيقظت في منطقة مشروع بها عمال وآلات ضخمة ورمال، لا أعرف كيف فقدت ذاكرتي، عقلي.. عقلي مشوش تماما، لا أذكر هذا الـ(ريلبي) لا أذكر أي أحد.. لحظة! أذكر ابنته.. أذكر كيلتي..

- أبي.. أين ذهبت أمي؟

- ستعود يا عزيزتي.. ستعود قريبا..

أذكر كيلتي ولكن.. على أنها ابنتي أنا..

وأذكر زوجتي.. ريلبي أخبرني وأكد لي أني لست متزوجا.. حتى أنه أثبت لي عن طريق بطاقتي حيث أنه مكتوب بها (أعزب) ولكني لا أزال لا أثق بهذا الرجل.. لا أثق بأي شيء! أنا أذكر زوجتي يا رفاق أذكرها والله، لم أكن لأنسى حياة بأكملها معها على كل حال، ولكن.. يأتيني هذا الهاجس أحيانا يخبرني أني.. ربما أهلوس؟

ربما ريلبي على حق.. ربما لست متزوجا ولم أنجب.. ربما عقلي يتلاعب بي.

لم أعد أعرف الحقيقة من الخيال على كل حال.. ولكن.. ماذا إن كان ريلبي يتلاعب بي حقا؟ ولكن.. وقتها لن أكون مهلوسا و.. ستكون كيلتي ابنتي؟

ما عدت أعرف.. أنت لم تجرب هذا الإحساس.. لا تعرف من تصدق ومن لا تصدق.. كل ما تعرفه عن نفسك تأخذه من شخص ما.. مهما كان هذا الشخص أمينا فلن يكون وضعك جيدا.. ربما أنا فعلا في خطر.. ربما هذا الـ(ريلبي) يدبر شيئًا ما لي.. يا إلهي احفظني فلا أعرف ماذا سيحدث لي..

***

جاء مساء أول يوم على راميرد في بيت ريلبي وكان ريلبي وابنته يشاهدان التلفاز في الصالة وكان راميرد يجلس في غرفته على سريره ويشعر بيأس فظيع..

"ماذا أفعل الآن؟ هل أصدق هذين الشخصين وتصرفاتهما؟ ولكن.. ولكن كيف؟ كيف أذكر شخصا على أنه شخص آخر؟ كيف أنسى كل شيء أصلا؟ ما الذي حدث في تلك المنطقة اللعينة وفعل بي هذا؟".

- أستاذ راميرد..

أفاق على صوت كيلتي ورآها واقفة على باب الغرفة تقول له:

- أبي يسألك: "ماذا تريد على العشاء"..

- أ.. أي شيء سيفي بالغرض..

- سنأكل عسلًا وبطاطا حلوة وبعض الجبن الأبيض..

- مـ..

- هل تعلم طعامي المفضل؟

ضحك قائلًا:

- وما مناسبة السؤال؟

- اسمع.. أنا أجري اختبارًا موجودًا على الانترنت عن قياس جودة العلاقة بين الفتاة ووالدها، لأني أزعم أن علاقتي بك ممتازة.

- امممم حسنا.. طعامك المفضل هو..

- ما هو؟

- انتظري.. نعم.. البطاطا الحلوة مع الجبن الأبيض.

- لقد عرفت!

قفزت ناحيته واحتضنته.

- كان هذا خامس اختبار وقد نجحت به، علاقتي بك ممتازة.

- الخامس؟ ولكن.. هذا أول شيء تسألينيِ عنه.

- نعم، كان هذا الشيء الوحيد المطلوب منه الإجابة عنه، الباقي أنت تفعله بالفعل.

ابتسم وأمسك بذقنها ثم قال:

- وهل تحتاج حلوتي لنتيجة اختبار ما على الانترنت لتعرف كم يحبها والدها وكم أن علاقتهما رائعة؟

- كلا.. كنت أثبت لنفسي فحسب كم أنت رائع هههه.

اتسعت ابتسامته وهو يقول:

- وأنتِ كذلك، أجمل فتاة أنجبها إنسان.. أنا محظوظ بوجودك..

- نعم كنت أحدثه ثم تصلب فجأة ولم يعد يتكلم!

- حسنا.

قام ريلبي ليرى ما مشكلة راميرد.

- راميرد؟

أفاق ورأى ريلبي واقفًا أمامه فقال:

- نعم.. أين ذهبت كيلتي؟ كانت تسألني عن البطاطا الحلوة؟

- ماذا بك يا صديقي؟

كانت كيلتي واقفة على الباب فطلب منها ريلبي إغلاق الباب والبقاء بالخارج.

- أغلقي الباب يا حلوتي.

- حسنا.

سأل ريلبي راميرد:

- ماذا أصابك يا راميرد؟ يبدو أن هذه الحادثة تلاعبت بعقلك تماما..

- أنا.. لم أعد أميز الواقع من الخيال يا ريلبي..

- أخبرني ماذا تريد وأفعله لك..

- لا أعرف..

- لا أريد أن أراك في هذه الحالة يا أخي.

بدأ راميرد يشعر أنه عليه أن يثق في ريلبي، وليس لأنه مجبر.. بل لأنه يبدو صادقًا، صحيح انه لا يذكر أي شخص خدعه طوال حياته فلن يستطيع التمييز حين يرى واحدًا لكنه.. شعر أن ريلبي صادق.. مجرد شعور..

- لا أعرف ماذا أفعل.

سكت ريلبي لثانيتين وهو ينظر إلى راميرد بحزن وشفقة لم يشعر بهما منذ زمن بعيد ثم قال له:

- أعطني يدك.

ناوله راميرد يده فقام ريلبي وفتح باب الغرفة وأخذه معه للخارج.

- هل هو بخير يا أبي؟

- نعم نعم.. ناوليني فحسب حاسوبي المحمول.

أحضرته من على المنضدة بعد أن أزالت ما فوقه وأعطته أباها.

- تفضل يا أبي.

- شكرًا عزيزتي، الآن ركز معي يا راميرد.

- حسنا.. ماذا سنفعل؟

- سأريك صورًا لنا معًا، وصورًا لك وحدك، حاول تذكر أي موقف التقطت فيه هذه الصور.

زفر راميرد بضجر ثم قال:

- لا تحاول يا سيد ريلبي.. لن أتذكر شيئًا..

- حسنا.. أولا لا تنادني (سيد ريلبي)، ثانيًا وهو الأهم لا تيأس مهما حصل، سنعيد لك ذاكرتك مهما كلف الأمر.

كانت كيلتي تجلس على كرسي قريب تنظر إلى وجه راميرد وتشعر بالضياع الذي يشعر به وبدأت.. تشعر ببعض الشفقة عليه..

انتظر ريلبي حتى انفتح الجهاز ثم بدأ يبحث عن الصور.

أتت عينا راميرد وهو ينظر حوله على عينَي كيلتي ثم..

- أبي.. أنا أراك.. أراك بالداخل..

- فعلًا؟ إذن.. لستُ أحلم؟

- كلا.. أنا .. أنا معك..

- لستُ مجنونا إذن؟

- كلا.. وإلا.. فكلانا مجنونان!

- انظر يا صديقي.

انتبه راميرد فرأى وجه كيلتي وكأنها أفاقت في نفس اللحظة ثم حدقا لبعضهما متسعَي العين لثانيتين او أكثر، انتبه ريلبي لهما ولاحظهما لثانية.

- ما مشكلتك يا راميرد؟

- ماذا؟

نظر لكيلتي ثم له وقال:

- ما الأمر؟

ابتلع راميرد ريقه ثم قال:

- لا شيء..

ظل ريلبي ينظر إليهما صامتا بينما قامت كيلتي ودخلت إلى غرفتها وقد بدأت عيناها تذرفان.

- انظر يا فتى..

نظر راميرد إلى شاشة جهاز ريلبي فرأى صورة له معه وبجانبهما شخص ثالث يبدو أنه صديق لهما، وبجانبهم رجل يكنس الشارع.

المثير للسخرية أنه تذكر عامل النظافة هذا ولم يذكر أي شيء عن هذا اليوم بأكمله.

- هذا الرجل..

- مَن؟

- الذي يكنس..

- عامل النظافة؟ ما به؟

- أنا أذكره..

- أنا أعرف أنك لن تتركني أتحدث أمامهم..

- هههههه كلا بالطبع سأعطيك فرصتك، اليوم هو يومك ولابد أن تبدو قوي الشخصية أمام الجميع.

ظل راميرد ينظر إليه فأكمل:

- أعدك أنني لن أحرجك اليوم يا ولدي صدقني..

- يا رااااميرد!

- ماذا؟ ما الأمر؟

- ماذا بك يا صديقي؟ لماذا تغفو كل دقيقتين هكذا؟

بدا على عينَي ريلبي أنه سيبكي.. لقد بلغت شفقته على صديقه مبلغًا عظيمًا.

- صديقي لا تمزق قلبي أكثر من هذا رجاءً..

كان ريلبي دائمًا رجلا صلبا قوي الشخصية بشكل مبالغ فيه أحيانا وكان قليلا ما يتخلى عن وقاره، ولم يكن هذا يحصل إلا مع المقربين، ربما كان أقرب الناس له بعد وفاة زوجته ابنته كيلتي، ثم راميرد ثم ميلي معلمة الرسم في مدرسته.

- أنا أهلوس طوال الوقت يا ريلبي..

كانت عيناه شاخصتان في اللاشيء ولم يكن ينظر لريلبي وهو يكلمه.

- لقد فقدت عقلي بعد هذه الحادثة.. هذا هو التفسير الوحيد..

نزلت أول دمعة من عين ريلبي وهو يسمعه.

- أنت أخبرتني أني لدي ذكريات زائفة عندما قابلتني في شقتي.. عندما أخبرتك أني متزوج.. أنا.. أنا أتخيل ذكريات لم تحدث!

كانت عينا ريلبي تمتلئان بالدموع وكان هذا أندر من أي شيء بالنسبة لشخص مثل ريلبي.. ولكنك لو كنت جالسا مع شخص حالته كحالة راميرد لربما بكيت حتى ابتلت ملابسك.

- أريد الوقوف في الشرفة قليلا يا ريلبي..

- حسنا..

قالها ريلبي وهو يمسح عينيه بكفيه.

قام راميرد ووقف في الشرفة وبدأ يسرح بخياله.

"هلاذكرتني من أنا؟ هلا أخبرتني شيئًا أثق بصدقك تماما فيه؟ هلا أخبرتني حقيقة واحدة لا مراء فيها؟ نعم أنا أحتاج ذلك بشدة.. لم أعد أذكر شيئًا.. ولا أميز شيئًا.. لا أعرف من أنا ولا أين أنا، ربما لست من هذا المكان.. ربما لست حقيقيا بالمرة.. ربما أنا طير يحلم أنه إنسان.. ربما أنا جماد أصلا؟ ربما.. ربما عقلي قد أخذ من جسدي فأنا أسبح في اللامكان.. ربما أنا طيف يحلق.. ربما أنـ..".

- رااميرد لاااا!

جرى ريلبي ناحية راميرد ليمسك به قبل أن يلقي بنفسه من الشرفة.

- هل جننت؟

أمسك به وكانت عينا راميرد تائهتين ولا يبدو أنه يسمع شيئًا..

- راميرد! ماذا دهاك؟ كنت تريد قتل نفسك؟ ما بك؟ ألا تسمعني؟

ظل ريلبي يهزه وهو يبكي وراميرد كالصخرة ليست لديه أي ردود فعل، لقد كان تائها تماما..

"هلا أخبرتني من أنا؟ ربما عيناي تريان غير ما يُـ..".

انتفض قلب ريلبي حين سمع ذلك الصراخ.. كان صراخ ابنته.

- كيلتي!

أجلس راميرد على كرسي وأغلق باب الشرفة وظل كل خطوتين ينظر ناحيته فوجد أنه لا يتحرك فدخل غرفة ابنته.

- أخرجوني من هناااا.

لم يكد ريلبي يرى ابنته تصرخ من قبل، لقد كانت فتاة هادئة وجميلة حقا، لم تصرخ منذ كانت رضيعة تقريبا.. أو هكذا يذكر.

كانت تمسك برأسها ولا يبدو أنها نائمة، وكانت تصرخ:
"أخرجوني من هنا"!

- كيلتي.. مـ.. مـ.. ما بك يـ.. يا.. يا.. يا ابنتي..؟

كانت أنفاس ريلبي متقطعة من البكاء.. كان يشعر أن هذا كثير جدًا عليه ليتحمله.. ارتخت أعصابه ثم بدأت الألوان تتلاشى وسقط على الأرض وكان كل شيء يـ..

***

"ربما أنا طائر يحلم أن يكون إنسانا.. ربما أنا جماد.. ربما أنا لا شيء.. ربما أنا طفل وهكذا الأطفال يحلمون؟ ربما.. ربما واقعي ليس واقعا.. ربما أنا تحت تأثير مخدرات ما؟ لا أذكر حتى أسماءها ولكن.. حالتي بالتأكيد ليست طبيعية.. لا أعلم حتى ما الطبيعي بعد الآن..".

- نَم في سريرك يا راميرد.

- ماذا؟

فتح عينيه ببطيء وكان هذا ريلبي.

- لقد نمت هنا بجانب الشرفة.. ستأتي الشمس عليك الآن، ادخل ونَم في غرفتك..

أجاب راميرد بنبرة ضعيفة مستسلمة:

- نعم..

قام يسير إلى غرفته وهو ينظر حوله.. الألوان تتغير وتتداخل.. الشاشة تغير لونها من الأسود للأزرق ثم إلى البرتقالي..

"إنها هلوسات ما بعد الاستيقاظ.. لا شيء للخوف منه.. توقف عن هذا الهلع غير المبرر يا راميرد..

- ولكني غير خائف!

حسنا.. تمالك نفسك.. لا تفقد سيطرتك على وعيك رجاء..

- حسنا".

هل كانت ليلة البارحة حلمًا؟ ما الذي حصل؟ لم يعد يميز الخيال من غيره كما يبدو..

- ريلبي هل.. اا.. ماذا حصل البارحة؟

- كدت تلقي بنفسك من الشرفة، نم الآن ولنتكلم فيما بعد.

"شرفة؟ عم يتكلم هذا المخبول؟ يا إلهي! مزيد من الهلاوس؟ من أنا يا إلهي؟ حسنًا.. سأنام الآن ثم.. مممم.. النوم اللذيذ.. علي أن.. أن أتذكرمـ.. من أنا.. و.. ر..".

***

تحكي كيلتي:

لا أعرف ما مشكلة هذا الشخص الغريب! أنا أعرف أستاذ راميرد، ليس معلما لي ولكنه معلم لبعض أصدقائي ولم أسمع عنه شيئا كـ.. غرابة الأطوار هذه مثلا، نعم أفهم أنه قد تعرض لحادث وربما فقد ذاكرته كما يقول ولكن..هناك شيء غريب يتعلق به..

ترددت في أن أقول هذا ولكن.. أشعر.. أشعر أنه مألوف.. أتعلمون؟ حين نظرت في عينيه عندما كان جالسا بجوار أبي.. سمعت صوته من غير أن يتكلم.. بل سمعت صوتي أنا أيضا.. غريب الأطوار هذا يتخاطر معي! كم هذا غريب..

عندما دخلت إلى غرفتي ظللت أبكي بسبب الإحراج الذي سببه لي أبي عندما وجد كلانا ينظر إلى الآخر.. ظللت أبكي وأتساءل عن سبب ما حصل وما سمعته ثم.. شعرت أني.. أني أفقد وعيي.. تلاشى لون كل شيء ثم اختفي بدوره.. ثم رأيت هذا الغريب.. رأيته ثم بدأ ما حوله يتكون.. أو ما حولينا -إن أردت الدقة-.. كان مكانا جميلا كالقصص الخيالية.. مكان مليء بالزرع والورود و.. أحب هذه الأشياء بشدة، كان مكانا ساحرا.. كان هذا يبدو كالواقع تماما فلم أنتبه أني أحلم، رأيته يمد يده لي ويبتسم.. كانت غيري ستشعر بالميل له وسط كل هذه الأجواء.. ولكني خفت منه.. أنا أخاف من الأغراب.. صرخت أن أخرجوني.. شعرت بصوتي يدوي في السماء حولي.. هذا غريب جدا.. شعرت حينها أن واقعي هذا ليس واقعا.. أنا لست في بستان مليء بالأزهار.. هذا ليس أستاذ راميرد.. و.. أنا لست أنا؟ ربما.. ربما واقعي ليس واقعا أصلا.. ربما أنا نملة صغيرة تحلم.. ربما أنا طائر يطير في الفضاء سرح بخياله قليلا فتخيل أنه إنسان؟ ربما لا أزال طفلة رضيعة وحلمت أني كبرت؟ ربما كل هذا حلم فعلا؟ وإن كنا نحلم بحياة كاملة ونحن رُضَّع كيف كنا لنتذكر هذا ونحن كبار؟ ربما كل هذا ليس حقيقيا.. ربما أنا في وجود آخر.. ربما.. ربما كل هذا وهم.. ما عدت أعرف الحقيقة من الخيال.. آاه.. رأسي يؤلمني بشدة..

***

يحكي ريلبي:

راميرد من الأشخاص المقربين لي.. مصيبته قد حطمتني بالفعل.. أرغب في مساعدته بشدة، أدخلته بيتي ليبقى معي حتى يستعيد ذاكرته.. لدي ابنة اسمها كيلتي، أحبها أكثر من نفسي والله.

رأيت كيلتي في هذه الليلة تصرخ في غرفتها وتمسك برأسها، أنا رجل يبدو قويا جدا من الخارج ولكنه.. هش من الداخل عندما يتعلق الأمر بالمقربين.. كيلتي تصرخ.. أذهب لنجدتها فأراها على هذه الحال.. لم تتحمل أعصابي فخارت قواي و.. تلاشى كل شيء.. انسحبت الألوان من كل شيء ثم انسحبت الأشياء نفسها من الصورة.. لم يعد هناك شيء موجود.. صوت كيلتي يدوي في كل مكان: "أخرجوني من هنا".. أنا أسمعها بوضوح.. أم أني لا أسمعها؟ أهذا عقلي الذي يكرر لي صوتها ليشعرني بالاطمئنان عليها؟ أين انتِ يا كيلتي؟ هل يا ترى ما زالت على سريرها أم حصل شيء ما؟ متى سأخرج من هذه الدوامة السوداء لأطمئن على ابنتي؟

راميرد صديقي ومعلم في مدرستي وأحبه بشدة.. ولكن حين يتعلق الأمر بابنتي فإني أدفع عمري بالكامل وعمر غيري معه لأحافظ عليها.. إنها كل ما تبقى لي بعد.. بعد ميرا.. زوجتي.. المهم.. لن أسمح أن يؤثر مخبول على عائلتي، أنا رجل دفاعي جدًا فيما يخص العائلة، راميرد صديقي وأنا أحبه، ولكن مصلحة ابنتي فوق كل أحد.. لقد قررت.. لن يبقى هذا الرجل في البيت بعد اليوم..

***

جزء يحكيه راميرد . .

أيقظني ريلبي وقت غروب الشمس ولم تكن نبرته حميمة على الإطلاق..

- هيا قم لقد نمت كثيرا..

- مـ.. ما الأمر؟

- سترحل.

- مـ.. ما الذي حصل سيد ريلبي؟

- قم يا راميرد واغسل وجهك حتى تستطيع فهمي، هيا.

ظللت أفرك عيني بكفي بينما خرج ريلبي من الغرفة ولم أستطع فهم سبب فعل ريلبي هذا معي، وما الذي حدث لكي يطردني؟

قمت بالفعل لأغسل وجهي فرأيته جالسا بجانب ابنته وكانت تبكي.

دخلت الحمام وغسلت وجهي ثم خرجت إليه قائلًا:

- ماذا حصل يا سيد ريلبي؟

قال وهو يقوم من مكانه وكانت كيلتي تشيح بوجهها عني:

- ستعود إلى منزلك، هيا نجهز لك حقيبتك.

"ما الذي يحصل؟ من الذي يطرد ضيفه هكذا بلا سبب؟ آاه.. هناك سبب.. قال أني كدت ألقي بنفسي من الشرفة الليلة البارحة، أنا لا أصدق هذا الوغد.. لقد ألَّف هذه القصة كي يجد مبررا يطردني به.. هذا بسبب كيلتي بلا شك.. ها هي جالسة تبكي.. هناك سر يخصكِ لابد أن أ..".

- راميرد!

- ما الأمر؟

- لقد مللت من أفعالك هذه يا أخي! ادخل وجهز حقيبتك هيا!

لا أعرف شعوركم ناحية ان يأمرك أحد أو أن تشعر أنه يقلل منك ولكني.. قد أقتل شخصا بسبب هذا الأمر.. الآن بدأت تتضح لي معالم شخصيتي.. كانت شخصيتي قوية.. لم أكن أحب أن يتمرد أحد عليَّ أو أن يأمرني، فلتذهب إلى الجحيم، افعل أشياءك بنفسك..

ولكن في هذا الموقف بالطبع كان ذلي منبعثا من كوني في بيته وهو يأمرني بالمغادرة.. الحقير العجوز.. يوهمني أنه يريد مساعدتي ثم يطردني.. أنا على يقين انه يخطط شيئًا ما.. لقد سرقني أو.. أو فعل شيئًا ما لا تهمني معرفته.. وهو يطردني الآن بعد أن حصل عليه.. الحقير.. لن يساعدني أحد.. سأساعد نفسي.. لن أسمح لأحد بالاقتراب -أو التقرب- مني من جديد..

***

ماذا سيحصل الآن؟ بالطبع سأبقى في بيتي وسيكتشف الجميع أمري في يوم واحد.. ولكن لن يستطيع أحد استغلالي الآن لأن.. أيها الملعون ريلبي.. تبا لك! لقد ظننت أني وجدت من سيساعدني أخيرًا في هذه الحالة التعيسة التي وصلت إليها بعد الحادثة اللعينة ولكن.. حتى هذا كان كاذبًا أخرقًا.. لقد طردني من بيته بحقيبتي لأن ابنته.. أو.. ابنتي؟ تخفي شيئًا ما؟ كلا كلا كلا كلا ماذا تقول يا راميرد؟ لا يدفعنك الغضب إلى قول أشياء غير حقيقية.. لقد كنت تتخ..

- أين ستنزل يا سيد؟

- شارع الملك الخالد لو سمحت..

ماذا كنت أقول؟ نعم.. يجب أن أعترف أني أتخيل ذكريات لم تحصل.. أعلم هذا ولكن.. هذا لا يجعلك تطردني من منزلك! إن حالتي التعيسة صعبة للغاية ويكاد رأسي ينفجر بسبب كل هذا الضغط اللعين، قد أ..

- شارع الملك الخالد، تفضل.

نزلت من السيارة وبتُّ أعرف طريق بيتي الآن، لا تتشوش بسبب أني فقدت ذاكرتي، ذاكرتي ليست ضعيفة لدرجة أن أنسى شارع بيتي حتى وإن رأيته مرة واحدة.

نسيت أي مبنى هو المبنى الذي أعيش به.. بسيطة.. سأجده في بطاقتي.. تبا.. ليست لدي بطاقة، لقد سرقها الوغد الصغير، يا إلهي لابد أن أذهب إلى قسم شرطة الآن وأصنع غيرها و.. أنا متعب، أريد النوم..

نظرت حولي حتى رأيت الحلاق فتذكرت بيتي لأنه المجاور له.

سلمت عليه ولم يتكلم معي هذه المرة ولله الحمد على ذلك.

صعدت إلى بيتي ودخلت الشقة ثم ألقيت حقيبتي أرضًا ودخلت لأنام أخيرا على سريري القديم.

بعدما استلقيت وبسطت ذراعاي على سريري وظللت أنظر للسقف منتظرا النوم عدت أتذكر بعض الأشياء.. كانت تأتيني الآن بدون ألم رأس كالسابق..

- ولكن هذا الفأر الصغير لا ذنب له!

- هل نجري التجربة على إنسان؟

- يا إلهي! هل أنت أحمق يا واتشر؟ لماذا إما إنسان وإما هذا الفأر؟ ألا تملك قلبًا؟ أنا أرفض الدخول معكما في هذه التجربة..

- إذن انسحب منها أيها الطفل الجبان..

تبًا.. ما مشكلتي؟ كل شيء أتذكره يزيدني حيرة.. ما كل هذا؟ من كنت؟

نام راميرد ثم.. شعر أنه بقي يحلم لفترة طويلة جدًا.. رأى الكثير والكثير من الأشياء ولكنه كان ينسى العشرات من الأحداث كل ثانية لذا عندما استيقظ ذهب إلى غرفة مكتبه وبدأ يكتب ما رأى قبل أن ينساه.

- نعم.. ااا.. حسنا..

"كنت في حديقة كبيرة.. كانت ابنتي معي.. أو ابنة ريلبي.. تبًا لا أعرف، إنها تناديني أبي! ولكنها تبدو كابنة ريلبي و.. تبا!!".

ألقى بالقلم ومزق الورقة ثم جلس على الأرض وبدأت عيناه تدمعان.

- أيها الملعون ريلبي.. لِمَ تخدعني؟ لمَ لا تخبرني من أنا؟ أنا أشعر بالضياع.. أشعر بالضياع.. الضياع.. الضيااع..

ظل يحرك رأسه كالمجنون وهو يكرر كلمات كـ(الضياع - أنا هالك - أنا لا أحد - سأموت هنا ولن يهتم أحد.. لا أحد يعرفني) وما شابه ذلك..

بدأت عيناه تسقطان الكثير من الدموع وبدأ يمسح وجهه وكانت أنفه تسيل وعيناه لا يرى بهما من كثرة الدموع وكان يبدو كالطفل الذي فقد امه.

رن هاتفه فقام يجري ليرد.

- نعم..

لم يكن الرقم مسجلا على الهاتف فلم يعرف المتصل حتى سمع الرد:

- مرحبا سيد راميرد.. صباح الخير..

كان صوت امرأة فتوتر قليلا وابتلع ريقه.. ثم قال وهو يحاول أن يبدو صوته طبيعيا بعد كل هذا البكاء:

- نعم.. صباح الخير.. ما الأمر؟

- أنا ميلي معلمة معك في المدرسة.

انتفض قلبه وخاف أن يُكتشف أمره فقال:

- نعم.. في المدرسة؟ نعم أعرفك.. المعلمة ميلي..

وضع يده على وجهه بعدما قال هذا لائمًا نفسه على ما قال، لم يسمع ردها فقرر الهروب من الحوار ثم إغلاق هاتفه أو تحطيم خطه الهاتفي حتى لا يضطر للتعامل مع أحد من جديد فقال:

- آاه.. أنا مشغول قليلا آنسة ميلي سوف أ..

- لا تقلق أستاذ راميرد.. أنا أعرف حالتك.. وأريد المساعدة..

كان راميرد معجبًا بميلي قبل فقدانه للذاكرة ولم تكن تحبه، لم تخبره بهذا ولكنها فقط أرادت المساعدة لأنها شعرت بالكثير من الشفقة عليه عندما أخبرها ريلبي بشأنه.

- سيد راميرد.. الأستاذ ريلبي أخبرني بشأنك لأساعدك لـ..

- هذا الخبيث لن يساعدني، لقد طردني من بيته! إنه لا يهتم بأمري ولا يهتم أحد بأمري، ابتعدوا عني..

- اسمعني.. السيد ريلبي أراد مساعدتك بحق ولكنه.. لديه ابنة صغيرة ويخاف عليها، ويقول أنك عبثت بعقلها بطريقة ما وصارت تسمع أشياء وترى أشياء بعدما كانت بخير.. أعلم أنك ليس لديك أبناء ولكن تخيل شعور شخص يرى عقول أبناءه يتم العبث بها بسبب شخص مريض بمرض ما لا نعلم كنهه..

كاد راميرد يبكي وهو يسمع كلامها ورد عليها قائلا:

- نعم.. صرت أنا المجنون الآن؟ حسنا.. تجنبوني إذن ما دمت مجنونا وأسبب لكم مشاكلا في عقولكم!

كان يبدو الغضب الممزوج بالخوف واضحا في نبرة صوته.. لقد ارتعب من فكرة أن يكون منبوذا وأن يخاف الجميع منه..

- سيد راميرد، كلنا نريد المساعدة.. ولكن نحن لا نعلم ما أصابك، اسمع، هل يمكن أن تذهب إلى طبيب مختص بتلك الحالات؟ نريد أن نعرف ما الذي حصل في عقلك بالضبط.

- أنا لا أثق بأحد.. ويستحسن لكِ ألا تخبري أحدًا بحالتي كذلك.

أغلق الخط في وجهها ثم أغلق هاتفه وغرق وجهه في الدموع وانهمر في البكاء.

***

- وماذا إن لم يثقوا بك؟ أنا معك، لن أتركك..

- عزيزتي.. أنتِ والله نعمة من الله عليّ.. أنا أحبك..

- ابنتنا كيلتي تكبر..لا نريدها أن ترى أباها ضعيفا أبدا..

- لا لن يحصل هذا بإذن الله لا تخافي.. اسمعي.. أريد شرب بعض القهوة..

- حسنًا عزيزي ستجد القهوة فوق القطار.

- قطار؟ أي قطار؟

- القطار الذي يسير تحت سريرك، الذي يعبر من سحاب الدماء الخضراء.

- ماذا؟ ماذا تقولين يا بيلي؟

- هيا لتشرب السحاب كالماء، سنطير حتى نصل لشمس طيور جنتنا، ونركب الأفيال العجيبة وندخل من فتحات تهوية الـ..

- آاااه تبًا! ما الذي يحصل؟ تبا لهذه التخاريف اللعينة!

ضرب بيده على الأرض بقوة ثم بدأ قلبه يسرع في الخفقان وبدأ يبكي..

- ما الذي أصابني؟ عقلي يتلاعب بي.. عقلي اللعين يتلاعب بي! ما الذي صنع هذا بعقلي؟ آاااه يا ربي آاااه.

صار راميرد يجلس وحده كثيرًا.. ويحاول فهم الذي جرى له، كان يكتب بعض الأشياء وبعض الذي يرى.. ويدون الأشياء التي يراها بشكل متكرر، كان كثيرا ما يرى بعض الهلاوس التي لا معنى لها، تَوَصَّل في النهاية إلى أن أغلب ذكرياته تحتوي على (شخصية كيلتي - زوجته وهي خائفة عليه - إقدامه على شيء ما خطير - زميلان له في العمل).

"عقلي بلا عقل.. وعيي صار لاوعيا.. لم أعد أفكر.. أفكر في عدم التفكير.. عقلي يخلق الـ.. ذكريات الوهمية.. التي لم تحصل قط؟ أنا لا شيء.. ربما أنا.. ربما أنا لست إنسانا.. ربما أنا طائر؟ ربما أنا طفل صغير يحلم؟ وهكذا الأطفال يحلمون؟ ربما الواقع بالكامل قد صار يهلوس؟ ربما عقلي ذاب.. ربما الجميع يخدعني.. نعم! هي خدعة ما.. الجميع يحاول أن يجعلني أفقد عقلي.. ريلبي.. ريلبي أنت فعلت بي هذا.. لقد وثقت بك..".

كان أغلب يوم راميرد في غرفة مكتبه جالسًا على الأرض مستندًا إلى مكتبه يكلم نفسه.. وكان يبدو كالمجانين حقًا.. كان ينام في أي مكان وكل مكان.. وكان يدور في الشقة ليلًا ونهارًا.. كان ينظر إلى نفسه في المرآة لساعات أحيانًا.. ثم كاد يفقد عقله حقًا..

- راميرد.. يا راميرد..

كان الباب يطرق وهناك من ينادي وراميرد كان جالسا في غرفته مستندًا إلى مكتبه على الأرض ولا يريد الإجابة.

- يا راااميرد! هل أنت بالداخل؟ رأيت نور غرفتك من الأسفل افتح، أعلم أنك بالداخل..

- الملعون العجوز.. ارحل.. ارحل لا أريدك.. ارحل.. الخونة.. أيها الخائن الحقير.. الخونة..

- راااميرد! افتح يا راميرد.. أنا آسف يا أخي.. افتح رجاء هناك شيء مهم أريد قوله لك..

سكت راميرد قليلا ثم بدأ يفكر في أن يفتح له، لعله يجد عنده ما يخرجه من حالته البائسة.

- افتح يا را..

فتح الباب ونظر ريلبي إلى راميرد وإلى هيئته فتفاجأ وقال:

- راميرد! ما بك؟ لماذا تبدو هكذا؟ ما الذي حصل لك؟ تبدو كالمجانين يا أخي مـ..

ثم انتبه إلى أن كلامه يزيد الأمور سوءًا فسكت.

- ادخل إن شئت..

كانت عينا راميرد تبدوان كمدمن المخدرات من قلة النوم وبسبب حالته النفسية السيئة، قال ريلبي بعدما دخل:

- اسمع يا راميرد.. اولًا أنا آسف على طردك.. أرجوك سامحني..

- ما الأمر الذي أردت إخباري به؟

- هل تسامحني أولًا؟

- أخبرني بالأمر وإلا حطمت رأسك أيها العجوز..

كان شكل راميرد يبدو مرعبا بحق بملابسه الرثة غير المهندمة وحمرة عينيه ونظرته اللامبالية وجفنيه الثقيلين وشعره المتداخل الأشعث.

- راميرد.. ما بك يا أخي؟

ظل راميرد ينظر إليه بلا مبالاة ولم يرد.

- اسمع.. هناك طبيب نفسي سمع عن حالتك وقرر مساعدتك..

- اخرج.

- ماذا؟ راميرد هذا الطبيب سيـ..

- اخرج هيا!!

نظر ريلبي إلى راميرد بحزن ثم أخرج ورقة من جيبه ووضعها على الطاولة المجاورة للباب ثم..

- هذا رقمه.. إلى اللقاء يا راميرد.. أتمنى لك الشفاء العاجل..

خرج ريلبي فدفع راميرد الباب بقوة خلفه ثم دخل إلى غرفته وجلس على الأرض واستند إلى مكتبه وأكمل فعله للاشيء..

***

- زوجته تتصل!

- تبًا، لا ترد عليها..

- هل جننت يا واتشر؟ ستأتي إلى هنا حالًا إن شكت بأي شيء!

- اللعنة! حسنًا أخبرها أنه في الحمام أو.. أو.. لا أعلم، أغلق الهاتف اللعين!

***

- لقد فقدت عقلي.. هههههه.. أنا لست إنسانا طبيعيا.. مَن يُصاب بداء تذكر ذكريات لم تحصل؟ لا أحد.. إذن لستُ طبيعيا هههههه، يا لي من أبله كبير.. بيلي زوجتي.. عودي وأخبريني من أنا.. أنا.. ضائع..

تذكر أن ريلبي ترك له رقمًا ففكر في الاتصال ثم رد على نفسه:

- طبيب.. هههههه، الطبيب الأبله لا يستطيع مساعدتي.. كلهم مجانين.. هؤلاء الملاعين.. يظنون أنفسهم أذكياء.. حالتهم أسوأ من حالتي.. على الأقل أنا اعترفت أني مجنون ولكنهم.. مرضى يتجاهلون مرضهم.. يدعون أنهم بخير.. لستم بخير يا أولاد الـ*.. ولست أنا بخير أيضًا.. أيها الملعون ريلبي سأقتلك حين أراك..**

أثناء حديثه مع نفسه مر رجل يبيع الحلوى وينادي:

- حلوى جميلة للأطفال.. حلوى جميلة للأطف..

- سيكون يومًا جيدًا.

- عزيزتي.. أنا لا أحب مثل هذه العروض..

- نولير.. أرجوك.. ستستمتع كيلتي بهذا كثيرًا..

ثم سمعا صوت بائع في الشارع ينادي:

- حلوى جميلة للأطفال.. حلوى جـ..

هتفت كيلتي من غرفتها:

- أمي إنه بائع الحلوى الخطمية التي أحبها، أرجوكِ أرجوكِ أرجوكِ أريدها، أبي..

- حسنًا حبيبتي سنشتري لكِ مثلها حين ننزل.

- لاااا لاااا هذه أحلى.. أرجوكما سيرحل!

- آاااه منكِ.. أوقفه يا عزيزي من فضلك لنشتري لها.

- إنه هو! لا لا لا أنا لا أتخيل، هذا الغبي مر من هنا وكنتُ مع زوجتي وابنتي! توقف!

قام راميرد يجري وفتح نافذة غرفته ونادى على الرجل:

- يا بائع الحلوى! توقف!

فزع الرجل بسبب الصراخ فنظر للأعلى ورأى راميرد بشعره الأشعث..

- ماذا تريد يا أخي؟

- توقف سأشتري منك.

- حسنا.. هل ستنزل؟

- بلى بلى..

خلع بنطاله ليغيره بسرعة وعندما كاد يلبس البنطال النظيف وجد أحدًا ينظر إليه من مسافة بعيدة وانتبه إلى أنه نسي إغلاق النافذة.

- أيها المتلصصون الملاعين.. تبا لكم، لماذا تنظر إلى.. رجل عار؟

غير ملابسه وانطلق ناحية باب الشقة وفتحه ونزل يهرول على السلالم ليلحق بالرجل حتى كاد يقع.

فتح باب المنزل ورأى الرجل فارتاح راحة لا يعملها إلا الله لأنه لحقه.

- عذرًا سيدي.. أعطني.. كيـ..كيسين رجاءً..

- ما بك يا أخي؟ أنفاسك متقطعة، هل كنت تجري أم ماذا؟

- نعم.. أردت.. اللحاق بك فـ.. فقط قبل أن تذهب..

- ولمَ هذه العجلة؟ هل تحب الحلوى إلى هذه الدرجة؟ أم تريدها لأجل الصغار؟

- في الحقيقة.. أردت سؤالك عن.. بعض الأشياء..

- حسنا خذ نفسك يا أخي.. لن أرحل..

- حسنا..

سكت راميرد لدقيقة بينما كان الرجل يركن عربته الصغيرة بجانب الطريق ثم قال له:

- منذ متى وأنت تمر من هذا الشارع؟

- منذ.. اممم.. شهرين تقريبا..

- يا ويلي! حسنا.. هل تَذْكُرُني بشكل ما؟

- والله يا أخي أتعامل مع الكثير من الناس يوميا و..

- أرجوك.. حاول أن تتذكرني.. الأمر في غاية الأهمية..

- ما الأمر يا أخي؟ هل هناك مشكلة ما؟

- أرجوك.. فقط افعل ما أطلبه منك رجاءً.. حسنا؟

- حسنا يا أخي..

بدأ الرجل ينظر حوله وينظر إلى النوافذ وإلى وجه راميرد وإلى مداخل المنازل لمدة دقيقة تقريبا لعله يذكر موقفًا ما حتى هتف:

- أنت الرجل الذي كانت معه طفلة صغيرة وزوجتك وكنتم ذاهبين لعرض ما! لقد تعرفت عليك يومها ولكنني نسيتك..

تغير شكل راميرد وتسارعت أنفاسه وأمسك بكتف الرجل قائلًا:

- كانت معي طفلة؟ كيف كانت تبدو؟

خاف الرجل وقال:

- ما بك يا سيدي؟ كيف لا تعرف أنك لديك ابنة؟ أنت أخبرتني أنها ابنتك.. قلت لك حين رأيتك: "ملابس أنيقة يا أخي.." فأخبرتني أنك ذاهب لعرض.. الآن أذكرك جيدًا، طلبت مني كيس حلوى ثم خرجت الصغيرة الجميلة من المنزل تجري ناحية السيارة وهي تنظر للحلوى، حتى أني فرحت بذلك، سألتك: "هل هي ابنتك؟" فأجبتني أنها ابنتك وأن اسمها.. كيلي أو كالي لا أذكر..

- كـ.. كيلتي؟!

- نعم بالضبط!.. قلت لي: "إنها ابنتي كيلتي.. هي التي جعلتنا نذهب لهذا العرض.. الليلة ليلة صغيرتي الجميلة"..

***

(4)

أخذ راميرد رقم الرجل بعد أن بكى واحتضنه وكان الرجل مذهولًا وخائفًا جدًا حتى أخبره راميرد أن ابنته اختطفت منه وأنه فقد الذاكرة، أخبره بأي شيء ليهدئ من روعه.

صعد إلى بيته بقطعتي الحلوى وألقاهما على مكتبه وظل بملابس الخروج واتصل برقم ريلبي..

- يا بنيتي إن الصغار يفهمون جيدًا هذه الأمور.. نعم إنها نفس الـ.. لحظة واحدة.. سأرد على هذا المكالمة ثم أعود إليكِ ، لحظة واحدة.

- أيها الملعون الخنزير! ماذا فعلت بابنتي؟

- ماذا؟ هل جننت يا راميرد؟ ما الذي فعلته لك أيها الأحمق هذه المرة؟

- أنا بالفعل أحمق! أحمق لأني صدقتك أيها اللعين! أعلم الآن أني كانت لدي ابنة، لقد تأكدت بنفسي، أيها القذر الحقير، سأقتلك اعلم ذلك جيدًا سأقتـلـك!

أغلق ريلبي المكالمة معه ثم ودع التي كان يكلمها ثم أغلق هاتفه.

- الوغد الحقير.. سأتصل بالشرطة.. يظن أنه سيسرق مني ابنتي وحياتي وينجو بهذا، يخبرني أني كنت معلمًا عنده، عليه اللعنة، الكاذب الحقير..

***

جزء يحكيه ريلبي:

أنا أشفق على راميرد بشدة.. لقد اتصل بي وأنا أتحدث مع ميلي معلمة الرسم في مدرستي وكان غاضبًا بحق، لم أفهم سبب غضبه، ظل يصرخ قائلًا أنه سيقتلني وأنه كان أحمقًا لأنه صدقني وأنه لديه ابنة، نفس الهراء القديم، أنا كنت أحب راميرد بشدة ولكني لن أكذب.. لقد صرت أكره هذا الفتى.. ربما هو يلفق كل هذا، سيزال يصاب بذكرياته الزائفة ثم ماذا؟ لقد جن جنونه! لقد فقد عقله تمامًا، وينظر لابنتي بطريقة غريبة وتغير رد فعله عندما سمع اسمها لأول مرة.. راميرد جن جنونه بعد هذه الحادثة ولا أشك للحظة بذلك الآن.. هل سأنتظر حتى يقتلني أو يؤذي ابنتي؟

لقد صار يعرف مدرستها الآن.. هو مفصول بالنسبة لي وسأخبرهم أن لا يدخلوه المدرسة.. ولكني لن أنتظر حتى يتعرض لي أو لابنتي بالأذى.. لقد هددني بالقتل.. لابد أن يتم التخلص من خطر هذا المختل في أقرب وقت..

***

كان راميرد جالسًا يكلم نفسه وكيف أن ريلبي خدعه وأن الجميع خدعوه حين رن هاتفه فأجاب وكان رقمًا غريبًا.

- سيد راميرد إلوجن؟

- مَن؟

- أنا الطبيب ويلر.

- طبيب؟ مَن أعطاك رقمي؟

- لا يهم.. هل يمكنني أن أطلب منك المرور على عيادتي غدًا؟

- مَن أعطاك رقمي؟

- اسمع أستاذ راميرد، أنت لست بخير، ولابد أنك تعلم ذلك، هل تريد التعافي أم لا؟

سكت راميرد لعدة ثوان لم يتكلم فيهم الطبيب ثم أجابه:

- ماذا يمكنك أن تفعل لي؟

- يمكنني أن أفهم سبب الذي يحصل معك وبالتالي العثور على العلاج المناسب لك.

- هل أنت طبيب نفسي؟

- نعم أستاذ راميرد.

سكت لمدة بضع ثوان من جديد ثم قال:

- متى يمكنني المجيء إليك؟

- غدًا في الساعة الخامسة، حسنًا؟

- حسنًا.. أين العنوان؟

أخبره الطبيب بعنوان المستشفى ثم ودعه.

***

نام راميرد تلك الليلة وحلم بالرجل المجهول الذي رآه في الصورة التي عرضها عليه ريلبي عندما كان في بيته.. رآه يلاعبه.. وكان راميرد في الحلم طفلًا صغيرًا..

كانت الساعة الرابعة عصرًا في اليوم التالي عندما كان راميرد يجهز نفسه للذهاب للطبيب، صفف شعره واستحم ولبس ملابسًا نظيفة كانت في خزنة الملابس ثم نزل من بيته.

رآه الحلاق خارجًا من بيته فسلم عليه قائلًا:

- مساء سعيد سيد نولير..

- مساء الخير صـ.. لحظة واحدة..

وقف راميرد وسأل الحلاق قائلًا:

- ماذا قلت؟

تعجب الحلاق ثم قال متعجبًا:

- فقط أقول لك مساء سعيد..

- هل قلت: "تولير"؟

- نولير مَن؟

تجاهله راميرد وقال:

- لا عليك..

انطلق في طريقه يسأل أكثر من شخص عن العنوان حتى وصل للمستشفى التي أخبره عنها الطبيب ويلر، عند عبوره من البوابة استوقفه البواب قائلًا:

- إلى أين تريد الذهاب يا سيد؟

- أنا.. لدي ميعاد مع طبيب..

- ما اسمه؟

- اممم لا أذكر.. هو طبيب نفسي.

- حسنًا تفضل.

دخل المستشفى ولم يُرد أن يسأل أحدًا عن عيادة الطبيب النفسي فظل يقرأ التخصصات على أبواب الحجرات، ظل يسير ويقرأ حتى وصل لآخر حجرة قبل الدرج.. كان مكتوب عليها:

- حجرة الولادة.. انظر يا نولير هذه الغرفة التي وُلدت بها..

- فعلًا؟ هل سأجد هنا الطبيبة التي كانت مسؤولة عن ولادتي؟

- هههه لا أدري.. ربما.. كان اسمها الطبيبة ليسيا.

- لو سمحت.. ما اسم الطبيبة المسؤولة عن التوليد هنا؟

- الطبيبة ليسيا؟ هي ليست موجودة حاليًا.

- ليسيا؟.. يا إلهي..

قرر أن يفكر في هذا الأمر لاحقًا وأن يذهب للطبيب الذي يقرر علاجه الآن.

صعد للطابق الثاني وسار في الرواق حتى وجد الغرفة المكتوب عليها أنها غرفة العلاج النفسي، غرفة الطبيب ويلر.

- لماذا هو بالذات اسمه مكتوب على باب الحجرة؟ أيًا يكن.

طرق الباب وانتظر بضع ثوانٍ حتى فتح له الطبيب ويلر، كان رجلًا طويل القامة عريض الجسد ذا جسد رياضي ممتاز وتصفيفة شعر جانبية، كان شكله شكل طبيب تقليدي جدًا، وطبعًا لن ننسى الابتسامة الرائعة على وجهه.

- مـ.. مرحبًا.. أنا راميرد إلوجن..

- أعرف.. تفضل.

- كيف تعرف؟

- لقد تمت توصيتي عليك سيد راميرد، تفضل اجلس.

لاحظ راميرد أن الطبيب قد تجاهل سؤاله ولكنه لم يتكلم، كان يشعر بتوتر كبير بعد أن كان لا يهاب أحدًا عندما كان منعزلًا في بيته، حجرة الطبيب قد دمرت ثباته بالكامل وصار كالطفل الذي ينتظر أخذ حقنته.

- تبدو شخصًا طيبًا سيد راميرد.

- أشكرك..

قال الطبيب بينما يجلس على كرسيه خلف مكتبه:

- لا تتوتر.. الأمر طبيعي تمامًا.

ثم أمسك هاتفه وبدأ يفعل شيئًا ما.

- نعم.. الجميع يقولون: "لا مشكلة في أن يذهب الشخص إلى طبيب نفسي..".

- وهذا صحيح.

- أنا.. احم.. أعتقد أصلًا أن أغلب الناس مرضى نفسيين.. ولكن أغلبهم كذلك لا يعترفون بذلك.. ربما يتكبرون على الاعتراف..

نظر له الطبيب وابتسم قائلًا:

- جميل سيد راميرد.. يعجبني تفكيرك.. ولكن لماذا تظن أن أغلب الناس مرضى نفسيين؟

سأل السؤال وأكمل الضغط على شاشة هاتفه.

- أظن.. أن الذي.. يضرب أطفاله بعنف مريض نفسي و.. الذي يهين زوجته طوال الوقت.. والذي يتشاجر مع كل الناس..

كان التوتر ظاهرًا واضحًا أمام أي أحد -وليس فقط الطبيب النفسي- على وجه راميرد وهو يتكلم، مظهر الطبيب دمر ثباته تماما.

- جميل.. جميل جدًا..

قالها الطبيب وهو يرفع الهاتف إلى أذنه.

- هل.. ستكلم أحدًا؟ هل الوقت غير مناسب؟

- كلا كلا.. الوقت مناسب تماما.

ظل الطبيب واضعًا الهاتف على أذنه لبضع ثوان ثم أنزله وقال لراميرد:

- وكيف نعالج أمراض هؤلاء الناس برأيك؟

- امممممم.. أنت الطبيب النفسي هههه..

- نعم ولكني أريد معرفة رأيك.

- امممم.. نعطيهم الحب؟

- رائع.. جميل ممتاز، ولماذا أصيبوا بالأمراض النفسية من الأساس من وجهة نظرك؟

- امممم.. لماذا تسألني هذه الأسئلة؟

- هذا جزء من العلاج النفسي.

- آاااه حسنًا.. امممم الذي أصابهم بالأمراض النفسية هو.. امممم.. أذاهم الناس بشدة فكرهوا العالم؟

اتسعت عينا الطبيب لجزء من الثانية ثم حاول أن يبدو كما كان بشكل طبيعي وأكمل:

- وهل.. يا أستاذ راميرد إلوجن.. تكره العالم؟

- ماذا؟ لا! أنا أتكلم عن هؤلاء المرضى النفسيين، إنهم خطيرون ويجب التخلص مـ.. تجب مـ.. معالجتهم!

بدأت يدا راميرد ترتعش ولكنه كان يضعهما بين قدميه وهو جالس أمام مكتب الطبيب بحيث لا يراهما، بدأ يشعر أن الطبيب يحاول الإيقاع به!

- يجب التخلص منهم.. حسنًا.. هل يجب علينا أن نتخلص منك أنت أيضًا يا سيد راميرد بسبب كونك مريضًا نفسيًا؟

- ماذا؟ لا، لقد قلت: "تجب معالجتهم"! ثم أني لست مريضًا نفسيًا!

- ألم تقل منذ قليل أن هناك من ينكر مرضه النفسي بسبب كبره وغروره؟

- ماذا؟ نعم ولكني أتحدث عن الذين هم مرضى نفسيين بالفعل، وأنا لست منهم!

- هكذا يقولون كلهم.

شعر راميرد برغبة في البكاء أو الرحيل وشعر بضغط شديد على أعصابه وعقله وشعر بسخونة في عينيه وهو يشعر أن هذا الطبيب النفسي يتنمر عليه!

- ما الذي قد يجعلني مـ..

قاطع كلامَ راميرد صوتُ باب الحجرة وهو يُفتح ويدخل منه رجل قصير القامة باسم الوجه.

- مرحبًا أيها الطبيب ويلر كيف حالك؟

- مرحبًا سليتس، تفضل بالجلوس.

- مرحبًا سيد راميرد.

تعجب راميرد أن الرجل يعرف اسمه فرد عليه التحية وظل ينتظر التفسير.

- حدثني عنك الطبيب ويلر وأخبرني أن أحضر هذه الجلسة معكما.

- معذرة مـ.. من أنت؟

أجاب الطبيب ويلر:

- هذا صديقي في العمل، يمكنه أن يساعد.

- حسنا..

قال الطبيب سليتس:

- أكملا ما كنتما تقومان به، أنا سأستمع فقط.

- كنت أسأل السيد راميرد عن رأيه في التعامل مع المرضى النفسيين فكان رأيه أن نتخلص منهم.

- لم أقل هذا!

ضرب راميرد بيده على المكتب وهو يضغط شفتيه ويقطب جبينه.

- اهدأ سيد راميرد لا بأس، هل تسمح لي بالحديث معه حضرة الطبيب ويلر؟

- تفضل بالطبع.

- أشكرك.. سيد راميرد ما الذي تعاني منه بالضبط؟

- أنا لا أعاني من شيء!

- سيد راميرد، لن نستطيع مساعدتك ما دمت تخفي عنا ما لديك..

- ربما أنا لا.. ربما أنا لا أريد مساعدة أحد..

- سيد راميرد أرجوك.. أخبرنا ما الذي يحصل معك.

أراد راميرد أن ينتهي من هذا الأمر فقال لهما:

- أنا أتذكر أشياء لم تحصل.. وبعضها يحصل.. وأرى عليه أدلة.. أتذكر وجوه أناس لم أرهم من قبل فيما يبدو.. أتذكر مشاهد لم تحصل.. لقد فقدت ذاكرتي منذ عدة أيام و.. لم أعد أذكر شيئًا..

قاطعه الطبيب ويلر قائلًا:

- هل لاحظت يا حضرة الطبيب سليتس؟ هل ربطت بين ما قاله؟

- نعم بالطبع.. صار محل ذكرياته فارغًا فبدأ عقله يخترع ذكريات لم تحصل ليضعها محل الذكريات الفعلية التي تم حذفها..

- رائع حضرة الطبيب..

قال راميرد مستنكرً:

- ما الذي تقولانه؟ هذا ليس ما يحصل!

- هل يمكنك أن تشرح لنا سبب رفضك لهذه النظرية سيد راميرد؟

- من دواعي سروري! أنا أرى أدلة على ما أذكره.

- مثل ماذا؟

- مثل.. قابلتُ رجلًا يبيع الحلوى ويتجول في شوارع المنطقة عند بيتي وتعرف عليّ وأخبرني أني كانت لدي ابنة.

- وماذا في هذا؟

- المقربين لي يخبرونني أني لم تكن لدي ابنة ولم أتزوج!

نظر الطبيبان إلى بعضهما الآخر ثم قال له الطبيب ويلر:

- وكيف تعرف أن هذه ليست ذكرى زائفة هي الأخرى؟ ثم حتى لو كانت حقيقية فهل سترجح قول بائع حلوى متجول على قول المقربين منك؟

- يا رجل لقد تذكرني وتذكر اسم ابنتي!

- وما كان اسمها؟

- كان اسم ابنتي كيلتي.

نظر الطبيب ويلر في ورقة بجانبه ثم قال:

- ماذا غير هذا؟

- نعم.. آخر ما تذكرته كان هنا في المستشفى..

انحنى الطبيب ويلر على مكتبه وضيَّق عينيه قائلًا:

- وماذا تذكرت عن هذه المستشفى؟

- تذكرت.. الحجرة التي وُلدتُ بها..

- أنت تمزح معي صحيح؟

قالها الطبيب سليتس فالتفت إليه رامبرد قائلًا:

- لماذا؟

- هذه المستشفى يا حضرة العاقل رامبرد قد بُنيت منذ خمس سنوات فقط.

بدا على رامبرد عدم التصديق ونظر إلى الطبيب الآخر ثم ابتسم قائلًا:

- آها.. طبعًا تقولان الآن في نفسيكما أني مجنون.. صحيح؟

لم يجب الطبيب سليتس بينما قال الطبيب ويلر:

- اسمع يا رامبرد، نحن لسنا أعداء لك، فقط نريد المساعدة، فلا تنظر إلينا بهذه النظرة الدفاعية رجاءً، نحن لا نريد أذيتك.

كانت عينا رامبرد قد احتوتا على بعض الدموع التي تريد النزول ولكنه يمسك بها، ضايقته فكرة أن ينظر الناس له على أنه مجنون.. مشكوك في قواه العقلية.. ولا أحد يصدقه..

- لا بأس يا سيدي، ما يحصل معك هو أنك تتخيل أشياء لم تحصل، نوع من الهلوسة فحسب..

- أصبحت مهلوسًا الآن؟

هنا حيث نزلت أول دمعة من عينه.

- سيد رامبرد الجميع لديه ما يـ..

" لقد تأكد الأمر.. أنا أهلوس.. عقلي قد ذاب في رأسي.. ربما أنا طائر يطير الآن في إحدى الغابات؟ وقد دخلت روحي في جسد هذا المسكين المدعو رامبرد أو.. نولر؟ لا يهمني.. أريد الآن العودة إلى جسدي وحياتي الطبيعية.. ما هذه الهلوسة الملعونة؟ أنا هذا الرجل.. ولكن.. ما الذي يحصل؟ عقلي.. عقلي يذووب..

حياتي كلها انتهت.. لم تعد لدي حياة.. ليس لي أصدقاء.. أعلم أنكِ هناك يا كيلتي العزيزة.. زوجتي الحبيبة.. سأعود إليكِ أنا أعدكِ.. يريدون خداعي ولكني لن أتخلى عنك يا زوجتي الحبيبة.. وأنتِ أيضًا يا كيلـ..".

- ماذا جرى لـه؟

- هذا المجنون مصاب بميول انتحارية لعينة! اتصل بالشرطة الآن!

- لقد أتينا هنا مرة وأرجو أن لا تكون الأخيرة..

- هههههه وهل تظنين ذلك بي؟

- كلا يا عزيزي ولكنك مشغول طوال الوقت، خصوصًا هذه الفترة..

- أنا فعلًا مقصر في هذا.. ولكن يومًا كهذا معكِ ومع عزيزتي كيلتي الصغيرة يعوضني عن كل أيام العمل الصعبة.

ابتسمت بيلي وأدخلت أصابعها بين أصابعه ونظرا لكيلتي بينما تلعب وقالت:

- أنت أب رائع يا سيد نولير ماجولن.

- لابد أن يذهب ابن الـ* هذا إلى مستشفى الأمراض العقلية اليوم قبل غدٍ!**

***

(5)

" هل تشتاقين إلى والدكِ يا كيلتي عزيزتي؟ سيعود.. إنه فقط.. يفعل أشياء مهمة.. والدك بخير لا تقلقي..".

***

قرر الطبيبان أن راميرد مصاب بخلل عقلي فعلًا، وهذا الذي كان ريلبي يظنه، لهذا طلب من ميلي أن تخبر هذا الطبيب (ويلر) أن هناك شخصًا لديه خلل في عقله أو "مجنون" كما قال هو، ويريدهما أن يحكما عليه بنفسيهما، وبالفعل وَقَعَ الطبيبان شهادة مفادها أن راميرد مجنون رسميًا.. وبالتالي أُخِذَ إلى مستشفى المجانين..

***

- مجنون؟ أنتم المجانين.. أيها الحمقى الملاعين.. لـ..

صرخ فيه الشرطي الذي يقود السيارة:

- اصمت ولا تتكلم.

"الملاعين المتنمرون.. شرطي حقير أحمق.. يظنونني مجنونًا.. الجميع يتآمر ضدي.. لا يريدونني أن أعود إلى عزيزتي وإلى ابنتي الجميلة.. أنتم الشر نفسه.. أيها الملاعين.. أريد.. أريد العودة لحياتي.. تبًا لكم ولخداعكم لي..".

لاحظ الشرطي نزول دمعة من عين راميرد وهو جالس ينظر من زجاج السيارة الأمامي.. شعر بالشفقة عليه ولكنه تردد في أن يفتح له المجال للكلام معه.. فهو -كما يظنون- مجنون.. وكان -كما يعرف- يفترض به تجاهله لتجنب أي فعل غير عقلاني.

- لـ.. لماذا تبكي؟

" الحمقى الملاعين.. سأعود وسأعيش مع ابنتي العزيزة.. مجرمون.. أنتم شرطة؟ أنتم مجرمون.. ابنتي بالتأكيد تبكي الآن وتشتاق إلى أ..".

- يا رجل! أنا أكلمك..

نظر راميرد إليه متسع العينين وقال:

- أنت مجرم..

- ما الأمر؟

- أنت.. مجرم..

- لا تتحرك من مكانك..

حرك يداه ناحية وجه الشرطي قائلًا:

- تريدون خطف ابنتي؟ تريدون أخذي منها ومن زوجتي؟ لاااا.

- اهدأ أيها المجنون اللعين!

أمسك راميرد بوجه الشرطي ورقبته وصار يضربه بينما انحرفت السيارة ولم يعرف الشرطي كيف يتصرف ثم..

***

"نعم.. لا تثق بي.. لا تحبني.. لا تساعدني حتى.. فقط أدر لي ظهرك واذهب.. لا أحد يحب القرب مني.. لماذا قد تحبه أنت؟ هيا اذهب بعيدًا.. ابتعد عن المجنون غريب الأطوار.. اذهب!".

- هل ترين هذا يا ميلينا؟ لدينا ضيف، تعالي لنتعرف عليه.

دخل راميرد من بوابة المستشفى وكانت لديه كدمة على رأسه وكانت أنفه تنزف ويسنده رجلان كانا يسيران وسط الحديقة

الهائلة المحيطة بمبنى المستشفى حين سأل أحد المجانين واحدًا منهما:

- ماذا به يا سيدي؟

- لا.. لا تقلق.. سيدخل غرفة الألعاب قليلا فحسب.

- غرفة الألعاب! رائع..

أخذه الرجلان وأدخلاه المبنى حين بدأ ينتبه جيدًا لما حوله.

- مـ.. من أنتما؟

- سوف تدفع ثمن فعلتك أيها الهمجي اللعين.

- مـ.. عن ماذا تتـ.. تتحدثان؟

- سترى الآن..

سارا به في رواق طويل حتى وصلا لآخر غرفة به، كانت ذات باب حديدي مغلق بقفل عملاق، دخلا به وأول ما رآه كان ذلك الكرسي.. ذلك الكرسي الحديدي.. ذلك الكرسي الذي لن ينساه بعد الآن..

- لاااااااااااااااااااا!

***

- سيلعب قليلا يا ميلينا ويعود، أتعلمين؟ العم سوب كان هناك بالأمس.. لا تخبريه أنني أخبرتك، أنا الوحيد الذي عرفت شششش.

كان فلاتي جالسًا على العشب أمام المبنى يلعب مع دميته ميلينا حين خرج راميرد وكان يبدو عليه الإرهاق الشديد، تبعثر شعره وتداخل وكان يفتح عينيه بصعوبة، وكانت مشيته متثاقلة إلى حد كبير.

- هل لعبت يا صديق؟

- مـ.. ماذ..

- أخبرني الرجلان أنك كنت في غرفة الألعاب.. أرجو أن تكون استمتعت.

كان فلاتي يتكلم وعلى وجهه ابتسامة سعيدة جدًا يكاد يخبرك بها: "أنا طيب وأريد أن أكون صديقك".

- نعم.. اسـ.. استمتعت جدًا.. أرجو أن تجربها في وقت ما.. ابتعد عن طريقي رجاءً..

سار راميرد متثاقل الخطى حتى وجد بقعة من العشب بعيدة عن الجميع فجلس بها ثم استلقى على ظهره وبدأ يفكر في حاله وما يحصل له.

"لابد أن كل هذا كابوس من نوع ما.. ما الذي يحصل معي؟ كيف كانت حياتي التي ذهبت هباءً تلك وأصبحت في مستشفى المجانين؟ تبا لهم.. كيف.. كيف كانت حيـ.. حياتي؟".

بدأ يبكي بشدة وانهار هذه المرة تماما ورقد على جانبه وظل يبكي بغزارة حتى لفت نظر من حوله.

- ماذا يا ميلينا؟ تريدينني أن أهدئه؟ ولكنه.. يبدو غير ودود.. حسنًا من أجلك فقط يا صديقتي.

ظل راميرد في نوبة بكائه حتى اقترب منه فلاتي قائلًا:

- ميلينا قلقة عليك..

- مـ.. ما الذي..

نظر راميرد فوقه فوجد فلاتي ينظر إليه ويبدو قلقًا وقد انحني ناحيته بشدة.

- أيها المجنون الملعون الحقير! ابتعد عني أنا لست مثلكم أيها الأبله، ألا تفهم؟ ابتعدوا عني لا يقتربن مني أحد وإلا قتلته!

احتضن فلاتي دميته واتسعت عيناه وهرب بعيدًا وهو يبكي حين أتى أحد الحراس ناحية راميرد وقال:

- ماذا قلت يا فتى؟

نظر راميرد في وجهه فوجد أنه أحد اللذين اصطحباه لغرفة الكهرباء فـ:

- هو ضايقني.. أنا لم أفعل شيئًا.. دعني وشأني!

وقام ليبتعد عنه فهتف الحارس:

- إن علمت أنك آذيت أحدًا هنا أيها المجنون الحقير فستتلقى عشرة أضعاف ما جربته اليوم.

كان راميرد ينظر له بهلع حين أكمل الرجل:

- اعتبرنا كنا نجرب الجهاز فقط عليك، المرة القادمة سأجعل عينيك تخرجان من مكانيها،هل فهمت ذلك؟

كان قلب راميرد ينبض بسرعة تقارب سرعة الضوء حتى أنه سقط على الأرض وظل ينظر إلى الرجل بعين متسعة جدًا وهو يذكر الإحساس الذي شعر به في الداخل.

"كيلتي.. سآتي يا عزيزتي.. والدك يواجه بعض الأشرار ولكنه سيأتي.. أخبري أمك أني آت قريبًا.. والدك.. بخير..".

كان يوم راميرد متكونًا من استيقاظه في سريره ثم خروجه من المبنى وجلوسه وسط العشب في أبعد منطقة عن الجميع والنظر إليهم طوال الوقت فحسب.. حتى أتت إليه تاياماريـن -كما تدعو نفسها- في مرة.

كانت تسير ناحيته من بعيد وعيناها لا تفارقان وجهه حتى نظر إليها فنظرت في ناحية أخرى وغيرت اتجاهها، لم يأبه بذلك وظل يراقب أفعال الباقين حتى وجد أحدهم يضع كفيه على كتفيه ويصرخ:

- ماذا تفعل؟

قفز من مكانه هلعًا ونظر خلفه فرآها.

- ماذا تفعلين أيتها المجنونة؟ لماذا فعلتِ ذلك؟

ضحكت وقالت:

- أردت إخراجك من شرودك فحسب.

ظل ينظر إليها لثوان فاختفت ابتسامتها وحركت يداها أمام وجهه قائلة:

- يا سيد.. هل هناك أحد بالداخل؟ هل نمت؟

كان يركز في تفاصيل وجهها و..

"تلك العينين.. هذا الفم.. روح الطفولة تلك.. ولكن.. ما الذي يحصل هنا؟".

- يا سيد.. هل هو ميت يا ترى؟ هل تريد أن تلعب؟

- أ.. مـ.. من أنتِ؟

- تاياماري‌ن يا سيدي.

قالتها بفخر شديد وهي تبتسم.

- تامارا اماماذا؟

- تايا.. ماارييين.. مارين هو والدي.

وجد راميرد بجانبه من يقول:

- هذا غير حقيقي.. مارين هو بطل كرتونها المفضل.

فزع راميرد ونظر فوجد فلاتي.

- لماذا كلكم تحبون إخافة الآخرين هكذا؟ تبا!

ضحك فلاتي وهو يشعر بالفخر وضحكت تايا وقالت:

- فلاتي يحبك.. يريد أن يلعب معك ولكنك شتمته في آخر مرة..

- آ.. نعم.. أنا آسف لا أريد اللعب، أنتم مجانين كما تعلمون وأنا عاقل فـ.. اذهبوا رجاء ودعوني أكمل جلوسي في هدوء.

قال راميرد تلك الكلمات وهو يجلس مكانه من جديد بينما قالت تايا:

- مجانين؟ عن ماذا يتحدث؟ يا صديقي نحن في نزهة، أمي ستأتي بعد قليل لاصطحابنا، ما بك؟

ضحك راميرد وقال:

- نعم صحيح..

نظر فلاتي إلى تايا وقال:

- لماذا يحب السيد ماينى أن يضايقنا دومًا بكلام لئيم؟

نظر راميرد إليه وقال:

- السيد ماذا؟

- السيد ماينى.. أنت.

قالت تاياماريـن:

- إنه يحب تسمية الجميع بأسماء من تأليفه، حتى أنه سمى جميع دماه.

هتف فلاتي:

- ليست دمى! إنهم أصدقائي!

ردت عليه تايا متأسفة:

- حسنًا يا فلاتي.. ليسوا دمى، أنا آسفة، الآن اذهب لأني سأتكلم مع السيد ماينى في موضوع خاص.

- حسنًا..

ذهب فلاتي وقال راميرد لها:

- أي موضوع؟ أنتِ أيضًا عليكِ الذهاب، اسمعي أنا لا أريد أذية أحد لأنهم سيصعقونني بالكهرباء إن لمست أحدًا، وهذا

الحارس الغبي ينظر إليّ طوال الوقت، فأرجوكي أن تذهبي الآن، لا أريد الكلام مع أحدكم أيها الـ.. مجانين الحمقى.

- هل انتهيت؟

- ماذا؟

- هل أنهيت خطاب الكراهية خاصتك؟

- هل كنتِ تستمعين لما أقول؟

- للأسف.. نعم، والآن هل انتهيت تماما؟

- نعم، ثم؟

- هيا نلعب! هيييييه.

***

يحكي راميرد:

لو كنت مكاني لفقدت عقلك بلا شك، تأثير هؤلاء الحمقى شديد! جرب أن تجلس كل يوم مثلي لا تفعل شيئًا سوى مشاهدة بعض المجانين، بعد أن يصبحوا هم بيئتك وأصدقاءك وكل ما ترى وتسمع.. لابد لهذا أن يؤثر عليك.. إلا إن كنت ذا عقل حديدي، هؤلاء الحمقى أثروا عليَّ.. عليَّ أنا! أتتخيل ذلك؟ المهم..

أنا أفتقد كيلتي.. وأفتقد زوجتي.. وأفتقد حياتي.. أريد الخروج والعثور عليهما.. قد تسألني: "لماذا لا تخبرهم أنك غير مجنون يا سيد راميرد وتثبت لهم ذلك؟" هل تظن أني لم أحاول؟ كلما حاولت أعطوني مسكنًا ما وأجلسوني في غرفة وشغلوا لي الموسيقى، ما هذا الهراء؟ وطبعًا لا أستطيع أن أظهر غضبي وإلا.. الكهرباء.. تبًا لهذه الحياة هنا..

ولكن هناك جانب مشرق من كل هذا، أصبح الآن لدي أصدقاء! تايامارين وفلاتي وموريس، موريس هو ولد صغير، لا أعلم كيف احتجزوه هنا وهو في ذلك السن الصغير، على كل حال.. صرت ألعب مع تايا وفلاتي وموريس طوال الوقت، تحب تايا لعب لعبة اللمسة، يكون الدور على أحدهم ويكون الصياد.. وحين يلمسك يصبح دورك! رائعة أليس كذلك؟ أستمتع بها كثيرًا.. هؤلاء الرفاق خففوا عني الكثير من الحزن.. صرت سعيدًا.. قد تقول لي: "ولكنهم مجانين يا سيد راميرد" هل تظن أني لا أعرف؟ ولكنني سعيد! وهذا ما يهم..

***

- لمسة!

- هههههه سأمسك بكِ الآن يا فتاة.

- هههههههه كلا لن تستطيع.

- سترين الآن هههههه.

جرت تاياماري‌ن حتى وصلت إلى سور المستشفى ومرت من خلف بعض الشجيرات الصغيرة وهي تضحك، تبعها راميرد ثم لاحظ وهو يمر بجاني الشجيرات شيئًا مكتوبًا على الحائط لم يلاحظه من قبل.

- سأستريح هنا قليلا يا تايا، أكملي مع فلاتي، آااه.

جلس راميرد مقابل الحائط ومسح العرق من على وجهه وبدأ يلتقط أنفاسه ثم بدأ يقرأ المكتوب:

- كـ.. كيلتي.. كيلتي نولير؟

تحجرت ملامح وجهه ثم تسارعت نبضات قلبه ونظر حوله ولمحته تايا فجاءت ترى ما به.

- كـ.. كيلتي نولير.. أ.. ماذا؟ أشتاق إليك يا.. يا أبي؟

كانت عينا راميرد على أقصى اتساعهما وكان فمه مفتوحًا ونظر بجانبه فوجد تايا فارتعبت من منظره فقال لها:

- هل ترين هذا؟

نظرت وبدأت تقرأ:

- كيلتي.. نـ.. نولير، آهاا إنها تلك الفتاة الصغيرة، أذكرها.

- مـ.. مـ.. ما.. ماذا؟ ماذا؟

أمسك راميرد برأسه وشعر بألم يحيط بعقله وظهره ثم قدميه ثم شعر أن الألوان حوله تتلاشى.. ثم سقط على الأرض فاقدًا وعيه وسط صراخ تايا وطلبها للنجدة..

***

"أنا لست مجنونا.. أو.. على الأقل ليس بالكامل.. تايا رأت الجملة.. وتعرفت على اسم ابنتي.. كيلتي كانت هنا بشكل ما.. ربما أنا مجنون.. ربما أنا أتخيل كل هذا.. ربما أ.. ربما أنا على درجة عالية من الهلوسة.. أنقذوني رجاءً!".

رأت تايامارين ما رآه راميرد.. وكذلك رآه فلاتي.. ورآه جميع أصحابهم، بل وألح فلاتي على أحد الحراس لكي ينظر ورأى ذلك مكتوبًا بالفعل.. بالطبع لم يُرد راميرد أن يطلب هو ذلك من الحراس لأنه يعلم أنهم يكرهونه منذ الحادثة التي كاد يقتل بها أحد رجال الشرطة.

- هل تعرفين تلك الفتاة يـ.. يا تايا؟

- آاممم.. ليس كليًا.

- أرجوكِ فقط أخبريني بما تعرفينه رجاءً.. كل ما تعرفينه..

- حسنا اممم.. عندما دخلت إلى هنا أول مرة حكى لي العم جراندي قصة الفتاة الصغيرة التي كانت هنا.. كانت الأخطر وكانوا يرونها تسير وسط الحديقة بينما كان الجميع في سريره.. كانت

تتكلم فيصدر صوتها أصداء في كل مكان وكانت تخرج النار من فمها و..

- تايا هل تمزحين؟

- هههههههه أخفتك صحيح؟

وضع راميرد كفيه على وجهه وبدأ يتنفس الغضب الذي بداخله ليهدأ.

- تايا.. أنا لا أمزح.. ما الذي تعرفينه عن هذه الفتاة؟

أدارت تايا وجهها متضايقة وقالت:

- كنت أمزح معك.. لماذا أنت مهتم بهذه الفتاة عل كل حال؟

- تايا..

أمسك بوجهها وأداره إليه وقال:

- هذه الفتاة هي ابنتي يا تايا..

اندهشت تايا قليلا ثم قالت:

- و.. ولكن كيف؟ اسمك ليس نولير!

- نعم ولكن.. في ذكرياتي أسمع هذا الاسم و.. ااا.. ربما هو اسمي الثاني.. على كل حال أخبريني ما تعرفين عنها.

بدا عليها الضجر وقالت:

- يا فتى.. لا أعرف عنها شيئًا، فقط سمعت قصتها من العم جراندي قديمًا أن هناك فتاة صغيرة كانت هنا وكتبت هذه الكلمات وكانت تتحدث عن فقدانها لأبيها، فكرة مأساوية، ولكنهم كانوا يقولون أنها كانت غريبة الأطوار وووووو مخيييف..

ظل راميرد ينظر إليها كالذي يريد تحطيم وجه أحد وقال:

- من أخبرك بهذا يا تايا؟

- يا فتى ألم تكن تسمع؟ العم جراندي يا فتى.. هل يمكن أن نلعب الآن؟ أنت تضجرني..

- أين العم جراندي هذا يا تايا؟

- العم جرااااندي العجووووز يا فتى مااات منذ زمن طوييييل، سأذهب للعب مع فلاتي..

أمسك بيدها قائلًا:

- متى قال لكِ هذا؟

- امممممم.. دع يدي! العم جراندي قال لي هذا حين رأيت هذه الكلمات لأول مرة وكنت جديدة في المكان.. جدييييدة لا أعرف أحدًا وحييييدة لا ألعب مع أحد.. وحييييد في الحيااااة وحييييد لا أصدقااااء لي..

- تايا ركزي!

- ماااذا؟ ألا يعجبك غنائي؟

- متى حصل هذا يا تايا؟ أرجوكِ أخبريني!

- منذ سنوات طويلة، عشر سنوات تقريبًا، سعيد؟ اتركني أذهب الآن للعب مع فلاتي أيها المزعج.. وداعًا.

- عشرسـ.. ولكن.. ماذا؟

****

"حسنًا حسنًا.. كيلتي موجودة.. ليست من خيالي.. هذا أكيد ولكن.. هل هي ابنتي؟".

- كيلتي نولير.. أشتاق إليك يا يا أبي.

"أنا أذكرها! ولكن.. ابنة ريلبي.. ماذا عنها؟ والرجل بائع الحلوى عرفني وتذكر ابنتي! عقلي.. عقلي يذووووووو ريلبي.. ووووووو تايامارين ووووووووو مجنون؟ ووووووووب.".

- أريد العودة لابنتي! كانت هنا.

- أنت تعلم أنك بصنع المشاكل تقترب أكثر فأكثر من هذا الكرسي الكهربائي صحيح؟ لا تعرض نفسك للعقاب يا صغيري وعد للعب من الحمقى أصدقاءك.

- لا تشتم أصدقائي!

نظر الحارس لصديقه فتكلم الأخير قائلًا:

- اسمع يا فتى، لا تزعج أحدًا بقصصك هذه غير أصدقاءك.. حسنًا؟ حتى لا يتم عقابك.

- اسمعني يا رجل.. أليست لديك ابنة؟ هذه ابنتي!

- ما اسمك؟ قل لي.

- اسمي راميرد إلوجن..

- هذه الفتاة اسمها كيلتي نولير، لا علاقة لهذا بك، فهمت؟ الآن عد للعب مع أصدقاءك وتوقف عن إزعاجنا.

- أريد مقابلة أحد المسؤولين هنا.

همس أحد الحارسين إلى الآخر فقال راميرد:

- ما الذي تقولانه؟

- حسنًا.. تعال ولكنها آخر مرة.

- شكرًا شكرًا أشكرك بشدة يا سيدي.

أخذه الحارس إلى داخل المستشفى في حين ابتسم الحارس الآخر.

- ولكن ألن نصعد للأعلى حيث المسؤولين؟

- كلا.. أكبر المسؤولين هنا، مدير المستشفى كلها هنا في آخر الرواق.

- حسنًا..

ظلا يمشيان حتى وصلا لباب حديدي.. نظر راميرد إلى الحارس فأمسك به الحارس يجذبه وهو يضحك.

- هنا أكبر المسؤولين يا فتى هههههه.

- لاااااااااااااااااا!.

***

- يمكنك أن تأخذ سمايا.

- حسنًا هاتها..

أعطى فلاتي راميرد إحدى الدمى فأخذها راميرد يربت على رأسها حتى وصل إلى بقعته التي يجلس بها دومًا فجاءت تايا تجري ناحيته وجلست بجانبه ولم يرحب بها.

- مرحبًا رمرماي..

نظر إليها وظل يمسح على شعر دميته.

- لماذا تصنع مشاكل يا عزيزي؟ قد عذبوك أكثر من مرة.. سمعت أنك كدت تقتل الشرطي الذي أتى بك هنا.. ولكن لم أرد الحديث معك بشأن هذا الأمر من قبل..

- دعيني وشأني.. أريد اللعب مع سمايا..

- دمية جديدة؟

- صديقتي..

- نعم نعم.. أخذتها من فلاتي؟

- نعم..

- اسمع..

اقتربت منه وهمست:

- دمى فلاتي كلها متسخة.. إنه يلعقها..

نظر راميرد بقرف إلى الدمية وألقى بها على الأرض.

- نعم، سأعطيك أنا دمية إن شئت.. إنه دب، وهو صديقي منذ ثلاث سنوات.

- حسنًا..

- سأعيد الدمية إلى فلاتي وأحضر توبي وأعود إليك.

- توبي هو الدب؟

- نعم نعم.

- حسنًا..

ذهبت تايا وتركت راميرد وحده يفكر..

"ولكنني بالتأكيد لست أتوهم.. كلهم رأوا كلام ابنتي.. ولكن تايا تقول أنه كان هنا منذ عشر سنوات! ابنتي صغيرة.. أم أنها كبيرة؟ يا إلهي! لقد فهمت، ابنتي كـ..".

- هل أحضر ملابس توبي معه أم تأخذه عاريًا؟

- يا تايا!! فقط اذهبي الآن أرجوكِ أنا أفكر!

- حسنًا حسنًا.. آسفة.. سأحضره عاريًا.. أحب ملابسه الصغيرة الجميلة تلك على أي حال.. عن إذنك..

- تفضلي!

"ماذا كنت أقول؟ آاه تبا لكِ يا تايا.. آه نعم.. الآن فهمت.. ابنتي كبيرة الآن وأنا أذكر ذكريات لها منذ كانت صغيرة.. وريلبي حقًا بريء وكل ذنبه أن ابنته تشبه ابنتي عندما كانت صغيرة! عظيم.. ولكن.. لحظة واحدة.. لقد نظرت في عينَي ابنته مرة وكلمتني.. تخاطرتُ معها.. ولكن.. ربما كنت فقط قادرًا على التخاطر.. ولكن ماذا عن الذي قالته هي لي؟ آاااه تبًا تبًا تبًا!".

وضع رأسه بين قدميه وغطاهما بكفيه وبدأ يبكي من جديد.

مرت دقيقتان قبل أن تجري تايا ناحيته صارخة:

- رامراماااي راميردووووو!

نظر ناحيتها ومسح عينيه فرآها تجري ناحيته حتى ألقت بنفسها بجانبه وقالت:

- أبي يريدك!

- من؟ أبوكِ؟ هل أبوك هنا؟

- نعم نعم، إنه لا يطلب أحدًا إلا لشيء بالغ الأهمية، اذهب..

- أين هو؟

- الطابق الثالث، إنه محبوس دائمًا في غرفته، يخرج مرتين في اليوم ومعه حارسان.. رأيته وطلب مني أن أخبرك أنه يريدك..

- وكيف يعرفني أصلًا؟

نظرت تايا لأعلى وأشارت لإحدى النوافذ الزجاجية وقالت:

- يرانا من أعلى..

- يا ويحي.. حسنًا.

- هيا هيا تعال..

قام راميرد واصطحبته تايا داخل المبنى إلى الأعلى، صعدا حتى الطابق الثالث ثم نظر في الرواق قائلًا:

- هذه أول مرة أصعد إلى هنا..

ثم نظر من إحدى النوافذ الكبيرة بجانبه إلى أسفل ورأى الجميع فاتسعت عيناه وقال:

- أخاف من هذا الارتفاع..

- هل تخشى الأماكن المرتفعة؟

- لا أذكر.. ربما.. الآن أشعر بالخوف..

التصق راميرد بالحائط ثم لاحظ الكاميرات المعلقة في كل مكان فسأل تارا:

- لماذا لديهم الكثير من الكاميرات هنا؟

- أي فعل غير مرغوب فيه.. الكرسي الكهربائي يا فتى.

- نعم.. حسنًا أين والدكِ هذا؟

- تعال.

أخذته من يديه وظلا يمشيان حتى وصلا إلى غرفة بابها مغلق ومكتوب عليها: (م.ح).

- ما معنى هذا؟

- امممم.. سيخبرك هو، ادخل.

- ألن تدخلي معي؟

- امممم حسنًا..

فتح راميرد الباب وكان هناك أحد الحراس جالسًا في الرواق على كرسي صغير يراقبهما.

نظر راميرد بمجرد أن فتح الباب فوجد رجلًا كبيرًا في السن واقفًا ينظر من النافذة الضخمة.. ملابسه بيضاء كالباقين جميعًا ولكن كان هناك حبل مربوط بشدة حول خصره وموصول بحلقة في أرضية الغرفة، كان طول الحبل لا يسمح له بالخروج من الغرفة.

- احم.. سيد مارين؟

نظر العجوز خلفه فرآهما وقال:

- مَن؟

- آاا أنت والدها السيد مارين..

ثم نظر إلى تايا وقال:

- صحيح؟

أجابه بصوت منخفض مع ابتسامة:

- نعم.. صحيح، يمكنكِ الذهاب الآن تايا.

- حسنًا أبي.

- وأغلقي الباب خلفك جيدًا ولا تدعي أحدًا من أصدقائكما يصعد إلى هنا.

- حسنًا أبي..

خرجت تايا وأغلقت الباب بينما أمسك العجوز يد راميرد فارتعش للحظة وجلس العجوز على السرير وأجلس راميرد بجانبه وقال:

- الآن يا بني.. أخبرني عنك.

- اا.. لماذا؟

- اسمع.. تكلمني تايا عنك كثيرًا إنها تعتقد أني والدها ولكن.. على كل حال، هي تحفظ الأحاديث جيدًا وتنقلها لي بما أني لا أستطيع الخروج.. وقد وجدتُ فيك شيئًا غريبًا جدًا.. الآن.. ما قصة ابنتك وفقدانك لحياتك وكل هذا؟

- أنت.. لا تتحدث مثلهم..

- لأنني لستُ مجنونًا، وأنت كذلك لست مجنونًا، الآن هل ستخبرني عن حياتك؟

- آاا لماذا أنت هنا؟

- يا فتى أريد معرفة خبرك هل ستقوم بالتحقيق معي أم ماذا؟

- حسنًا..

بدأ راميرد يفرك يديه ويبتلع ريقه ثم قال:

- أنا.. أفتقد ابنتي وزوجتي.. لا أعرف أين هما.. والجميع ظن أني مجنون و.. أرسلوني إلى هنا قبل فترة..

- أعلم هذا.. ولكن.. كيف فقدتهما؟ هل اختُطِفتا؟

- كلا.. استيقظت في يوم و..

- أنا.. أنا آسف ولكن.. أنا فعلا لا أعرف كيف دخلت إلى هنا.

- ما اسمك سيدي؟

- اسمي..

- نعم.. هل ستخبرني به؟

- أنا.. لا أعرف.

- كانت هناك رمال و.. كانت منطقة عمل لمشروع ما.. و.. نعم! كنت فاقدًا ذاكرتي..

اتسعت عينا سوب وقال:

- يا إلهي.. غير ممكن..

****

- لمسة!

- هههههههههه سأمسك بك هههههههه.

كان فلاتي يلاحق تايا حين دخلت إلى مبنى المستشفى واصطدم بأحد الحراس بقوة دون أن ينتبه له.

- أيها الـ...

- اهدأ يا مون، لا عليك.

ارتعب فلاتي واتسعت عيناه ورجع إلى الخلف خطوات واضعًا كفيه على فمه وقال:

- آ.. آ.. آسف سيدي.. آ.. آسف سيدي لم.. لم أقصد صدقني..

قام الحارس من على الأرض ونفض ملابسه ثم تحرك ناحية فلاتي الذي جلس على الأرض يبكي مرعوبًا وجذبه من شعره.

- ستتعلم الآن يا ابن الـ*** أن تنتبه في المرة القادمة.

ظل فلاتي يصرخ صراخًا عاليًا مدويًا انتبه له كل من كانوا في الحديقة، جرت تايا ناحية الحارس الآخر تطلب منه أن يجعل صديقه يترك فلاتي ولكنه طلب منها السكوت حتى لا تلقى نفس المصير.

- أ.. أ.. أرجوووك لاااا.. أرجوووك سامحني.. لاااااااااا.

***

- تعني أن ريلبي هذا شخص سيء؟

- نعم بالضبط! إنه الأسوا، لقد خدعني من البداية.

- ولكن.. لست متأكدًا بعد..

- يكفيني أنه أخبرني أني بلا زوجة وبلا ابنة، وقد تعرف علي شخص وأخبرني أني كانت لدي زوجة وابنة اسمها كيلتي.

- من هو ذاك؟

- هذا كان رجلًا يبيع الحلوى في شارعنا، لم أخبرك عنه بعد.

- حسنًا حسنًا لحظة واحدة.. أنت تخبرني أن هناك من أخبرك أنك كانت لديك ابنة؟ ورآها معك؟

- نعم.. حصل هذا فيما لا يزيد عن شهرين مضيا قبل وقت محادثتي معه.

- هل يمكن أن يحتاج هذا الشخص شيء منك ويعتمد هذا على كونك لديك ابنة؟

- ماذا؟ لا.. بالطبع لا، إنه بائع حلوى متجول.

- حسنًا حسنًا دعني أستوعب الآن..

- أنا لم أكمل القصة بعد..

- فلنحلل ما حصل حتى الآن لأنك تجعل عقلي يدور.. وهناك شيء أشك به وإن كان صحيحًا فأنت في مشكلة كبيرة جدًا..

- ما هو؟

- فقط انتظر حتى أتأكد منه..

- ما هو؟ فقط أخبرني!

- ماذا ترى في نومك؟

- ماذا؟ ما هو الشيء يا رجل؟

- أجب عن السؤال ثم أخبرك.

- حسنًا.. أرى زوجتي وابنتي و.. صديقان لي.. والجميع في خوف عليَّ من شيء خطير سأقدم عليه.. لا أعلم ما هو.

- يا ويلي! يبدو أنهم قاموا بها بالفعل من جديد..

- ما هي؟ أخبرني هيا!

- اسمع.. قد تكون ابنتك امرأة بالغة حين تعود إليها يا راميرد..

***

(6)

- فلاتي.. فلاتي هلا أجبتني؟

كان فلاتي جالسًا بعدما أخرجوه من الغرفة وحده لا يكلم أحدًا.. واختفت ابتسامته تمامًا من على وجهه.

- فلاتي يا صديقي.. أنا تيامارين صديقتك المقربة.. تكلم معي..

- سـ.. سأرى كوابيس طوال حياتي عن ما حصل بالداخل.. لا تضايقيهم أبدًا يا تايا.. يستطيعون إحداث الكثير من الألم لكِ..

- حسنًا.. لا عليك لقد انتهى الأمر.. هل أحضر لك ميلينا لتحذرها وتلعب معها؟

- حسنا..

***

- راميرد أنت غير مستوعب لما أنت فيه.. الغالب أننا سيان في هذا..

- ما الذي تقوله؟ وما علاقة حالتي بك؟

- لقد.. حصل معي كل ما حصل معك قبل سنين طويلة.. قبل أكثر من عشرين سنة..

- ولكن زوجتي.. حقا تحتاجني!

- أدخلوه ولا تدعوه يخرج من جديد، وامنعوا عنه الزيارات تماما.

- لا أحد يعرفه أصلا هههههه.

- هههه صحيح.

- ولكن.. كيف تكون امرأة بالغة؟ هل سأبقى هنا عشرين سنة مثلك؟

- ليست المشكلة في كونك داخل المستشفى أم خارجها.. الأمر أكبر من ذلك بكثير.. لا أستطيع إخبارك الآن..

طرق الباب أحد الحراس فقام راميرد وفتح الباب فجذبه الحارس من يده قائلًا:

- عد إلى مكانك، انتهى وقتك هنا.

- ولكن.. أنا جالس مع الرجل! ما المشكلة؟

- هذه الأوامر.

جذبه من يده وأغلق الباب في حين عاد العجوز إلى مكانه بجانب النافذة ينظر.. ينظر إلى الذين ظل ينظر إليهم لما يقارب عشرين سنة.. الذين رفضهم الجميع.. الذين رفضهم الجميع وقبلوا بعضهم..

***

مر يومان لم يعد فيهما فلاتي إلى طبيعته واختفت ابتسامته وصار يحب الجلوس وحده كثيرًا وعاد راميرد إلى حياته العادية داخل جدران المستشفى ولكنه.. ظل يفكر في كل ما قاله له العجوز.. لم يفهم الكثير من الأشياء.. عندما ذهب إليه في اليوم التالي حكى له باقي قصته حتى أتى هنا، لم يُرد أن يجيبه عن تساؤلاته، وكان يبدو أن هناك شيئًا خطيرًا يحصل مع راميرد وهذا العجوز يدري بشأنه.. ولكن راميرد لم يدر ما هو..

- أين فلاتي يا تايا؟

- ماذا؟ اممم.. فلاتي لم يعد يلعب معنا.. صار يجلس مع دماه فقط..

- فيم كنتِ تفكرين؟

- متى؟

- كنتِ شاردة الذهن منذ قليل.

- آاه.. أفكر في وضعنا هنا.. وضعنا مزرٍ..

- هل يمكن أن أسألكِ سوالًا خاصًا يا تايا؟

- بالطبع.. أي شيء يا موردي موري.

- هههه حسنًا.. اممم.. لماذا أدخلوكِ إلى هنا؟

- آاه.. هذه قصة قديمة حزينة.. هل لديك الوقت لتسمع؟

- هههه الوقت؟ هل تمزحين؟

- أعني.. هل تريد قضاء بعض الوقت في الاستماع لقصة فاشلة مثلي؟

- تايا! لستِ فاشلة، أتعلمين؟ أنتِ أجمل فتاة رأيتها في حياتي، أنتِ أجمل من كل العاقلات في الخارج..

- فعلًا؟ أوه.. هذا ألطف شيء قيل لي طوال حياتي.. شكرًا موردي موري..

- هههه حسنًا هيا أخبريني الآن.

تحسنت حالة تايا المزاجية وابتسمت وقالت:

- حسنًا.. السبب الذي أدخلني هنا أني.. غريبة الأطوار.. بشكل زائد عن الحد قليلا..

- أنتِ؟ غريبة الأطوار؟ أنت رائعة يا فتاة.

- نعم أنت تقول هذا.. المجتمع لم يرَ هذا مثلما رأيته.. حتى أمي ظنت أني جُننت..

- والدتك؟ ولكن.. ألم تكوني هكذا طوال حياتك؟

- بلى ولكن.. كانت غرابة أطواري تزيد مع الوقت.. كانوا يستيقظون ليلًا فيجدوني أرقص مع لا أحد في الشقة..

- هههههه تفعلين ماذا؟ ولماذا كنتِ تفعلين ذلك؟

- كنت.. أشعر بالوحدة.. لم يحبني أحد قط.. كنت أتخيل أن هناك من يحبني ويرقص معي..

- تايا..

بدا على راميرد الحزن الشديد وهو يستمع إليها وأكملت:

- وكانوا يسمعونني أحدث نفسي طوال الوقت في غرفتي.. ولكني لم أكن أحدث نفسي، كنت أحدث أصدقائي الخياليين، وكنت أحدث توبي.. لم أكن مجنونة يا راميرد!

- أعرف.. ولكن.. ليس الجميع لديهم نفس النظرة..

بدأت عينا تايا تمتلئان بالدموع وهي تقول:

- وعلى أي أساس يحكمون أصلًا؟ من غريب الأطوار ومن المجنون.. ربما هم غريبوا الأطوار!

- تايا هم يحكمون على من يخالف الشائع والغالب..

- أنا لست مثل أحد يا رامير، هل ذلك ذنب؟

- اممم.. لا أعتقد ذلك..

- على كل حال..

مسحت دموعها وقالت:

- أنا سعيدة هنا.. مع الذين يقبلونني كما أنا.. مستشفى مجانين.. لا بأس.. أنا مجنونة.. أفضل من أن أكون بالخارج مع هؤلاء الوحوش عديموا الرحمة..

- ولكن..

- آ.. نعم.. أنا آسف لا أريد اللعب، أنتم مجانين كما تعلمون وأنا عاقل فـ.. اذهبوا رجاء ودعوني أكمل جلوسي في هدوء.

- مجانين؟ عن ماذا يتحدث؟ يا صديقي نحن في نزهة، أمي ستأتي بعد قليل لاصطحابنا، ما بك؟

- أنتِ قلتِ من قبل أنك تظنين أنكم في نزهة..

- نعم.. هل تتوقع أن أخبر الجميع أنهم مجانين في نظر الناس؟ إنهم يحرصون هنا على عدم تنبيه أحد لحقيقة أنهم مجانين.. وكل مجنون يظن نفسه عاقلًا كما تعلم..

- إذن.. ما الذي يمنع أن نكون مجانين بالفعل؟ لن نعلم وقتها أننا مجانين..

- ولكن.. أنت تعرف أني لست مجنونة يا راميرد.. صحيح؟

- أنا لا أعلم عن نفسي أصلا الآن.. ولكن.. إن كنتِ مجنونة فأنا أحبكِ هكذا..

- وإن لم أكن؟

- أحبك كذلك.

ابتسمت ثم قالت:

- تعال لنطمئن على فلاتي.. إنه يجلس وحده منذ الصباح.

قاما ثم قال راميرد:

- أين هو؟

- جالس في مكان بجانب المبنى، منطقة لا يجلس بها أحد، اختارها لنفسه وانعزل كما كنت تفعل.

- حسنًا هيا بنا إليه.

- صحيح، هل عرفت؟ عاقبه الحارس البارحة عقابًا شديدًا لأنه حاول الهجوم عليه.

- ماذا؟ حقًا؟

- نعم.. أخذ منه دميته ميلينا ومزقها.

- ماذا؟ يا إلهي! لابد أن فلاتي فقد عقله بسبب هذا..

- هههه.. أي عقل يا عزيزي؟

كانت هناك منطقة طولية بجانب مبنى المستشفى تفصل بين المبنى والسور، لم يكن أحد يجلس بها فهي مظلمة وبها تراب بدلًا عن العشب، لم يكونوا يحبون الظلام، عندما وصل راميرد وتايا هناك رأياه.. محاط بالدمى.. مستلقٍ على الأرض.. عليك أن تقترب منه قليلًا لتلاحظ الدم يخرج من عنقه.. والسكين الصغير في يده..

- فلاتي!

- يا ويلي! يا ويلي!

***

- زوجته تتصل من جديد..

- ألم تغلق الهاتف اللعين؟ حقًا يا سكونوت؟ هل تريدني أن أكسر عنقك الآن؟

- اهدأ يا فتى! ماذا عليّ أن أفعل؟

- وما شأني بك الآن؟ لم تغلق الهاتف اللعين! تحمل غلطتك الآن، ستأتي هذه الحقيرة إلى هنا في أي لحظة إن قلقت على الملعون الحقير، كان يراودني شعور سيء حيال هذا الأمر برمته..

- أنت تفقد أعصابك يا واتشر.. اهدأ.. ستدخل في إحدى نوبات غضبك من جديد..

*- لا تطلب مني أن أهدأ يا ابن الـ***..*

هجم عليه وبدأ يركله وصارا يصطدمان بكل شيء حولهما ويكسران الكثير من الأشياء.. وسقطت أشياء ما كان ينبغي لها أبدًا أن تسقط..

***

كان الحراس في كل مكان وجاءت سيارات الإسعاف والشرطة وكان الوضع متأزمًا، كان هناك من يصرخون وهناك من يبكون وهناك من ذهبوا وجلسوا في الزوايا يحدثون أنفسهم، كانت هناك حالة هلع تامة في كل مكان..

- لـ.. لماذا فعل هذا؟

كانت تايا تبكي وراميرد يحاول تهدئتها، أكملت تقول:

- هذا الحارس هو السبب.. لم يتحمل فلاتي فقد دميته.. لهذا قتل نفسه.. هؤلاء المجرمون هم السبب!

- كيف حصل على تلك السكين يا ترى؟

- هل هذا ما يهمك الآن؟ أيها الوحش قاسي القلب!

ضربته في صدره وهي تبكي ثم ابتعدت عن الجميع.. ذهب راميرد وراءها حين حصل ما لفت نظر الجميع، لدرجة أنه نسوا في لحظة الذي قتل نفسه بجانبهم.

بدأ كل شيء يهتز.. الأرض والمباني والشجر.. بدأ السحاب يسير بسرعة أكبر.. اشتدت الرياح فجأة.. وانتشرت الطيور من لا مكان في كل مكان..

- ما الذي يـ..

"هذا في عقلك فقط يا راميرد.. هذا في عقلك فقط.. هذا ليس حقيقيًا.. السحاب لا تزيد سرعته في الزلازل.. الطيور لا تأتي من لا

مكان.. أنت لست مجنونًا أيضًا.. الأمور بخير.. الأمور بخير.. الـ.. هذا غير منطقي.. هذا ..".

***

مر أسبوع ولم يفهم أحد بعد ما الذي حصل وقتها، بعد أن هدأ كل شيء ظلوا يتساءلون عما حصل ولم يجد أحد تفسيرًا، لم يدم الأمر إلا لثوان عاد بعدها كل شيء لطبيعته وبدأت الشرطة تحقق في مقتل فلاتي ودُفن ومر هذا الأسبوع غامضًا على الجميع.

- أبي يريدك من جديد يا رومي رومي..

- هههههه دائمًا تضحكني الأسماء التي تخترعينها لي.

- هههه حسنًا يا رومي رومي، اذهب إليه الآن.

- حسنًا.. آاا تايا؟

- ما الأمر؟

- هل أنتِ واثقة أن هذا الرجل هو والدكِ؟

- بالطبع هو والدي.. ما الذي تقصده؟

- لا شيء.. سأذهب إليه الآن.

- حسنًا..

دخل راميرد المبنى وصعد للطابق الثالث.. رأى حجرة عليها ورقة مكتوب عليها: (م.ح)، ظن أنها هي وفتحها..

كانت هناك فتاة صغيرة مربوطة بحبل في أرضية الغرفة.. وكانت جالسة على الأرض.. نظرت إلى راميرد بمجرد أن دخل وقالت:

- والد كيلتي؟ مرحبًا بك!

حينها جذبه أحد الحراس بقوة وأغلق الباب قائلًا:

- لماذا فتحت باب هذه الغرفة؟

- مـ.. أنا كنت أ.. أريد العجوز.. !!!!.. لا أعرف اسمه.. هو عجوز وهناك ورقة كهذه على باب غرفته.. ظننت أنها هذه..

أخذه الحارس من يده حتى أوصله إلى إحدى الغرف وقال:

- هذه الغرفة التي تبحث عنها.. لا تفتح باب هذه الغرفة الاخرى أبدًا، فهمت؟

- نعم.. نعم سيدي..

"ما هذا الآن؟ من الذي يهلوس؟ من هذه الفتاة؟ ما هذا؟".

- مرحبًا سيدي..

دخل راميرد وأغلق الحارس الباب خلفه ورحل، كان العجوز جالسًا ينظر من النافذة كعادته.

- راميرد، اجلس يا بني.

جلس راميرد وقام العجوز وجلس بجانبه على السرير وقال:

- هل رأيت ما حصل منذ بضعة أيام؟

- تعني.. انتحار فلاتي أم.. الظاهرة الغريبة للسحاب والشجر و.. كل هذا؟

- كلاهما.. ولكن ما يشغلني أكثر هو هذه الظاهرة.

- حسنًا.. هل تفهم سببها؟

- ليس بالتأكيد.. ولكن لدي نظرية.. الآن أريد ان أفهم بعض الأمور منك لأني اقتربت من حل لغزك المعقد هذا.. وربما تخرج من هذا الوضع برمته وتعود لعالتك قريبًا..

- لحظة واحدة.. أنت تصدقني؟ أنت تعلم أني لدي عائلة؟

- نعم بالطبع.

- ولديك ما يعيدني إلى تلك العائلة ويخرجني من هنا؟

- تقريبًا..

أمسك راميرد يده وقبلها وقال:

- أرجوك أخبرني.

- اهدأ يا فتى لا عليك.. سأخبرك.

- هلا أخبرتني بم أناديك أولًا؟ لم اعرف اسمك في المرة السابقة.

- نادني سوب.

- حسنًا سيد سوب، كيف أعود لعائلتي؟

- اسمع.. هناك بعض الأمور التي لابد أن تعرفها أولًا..

- سيد سوب هل يمكن فقط أن..

- لن تعود إلى عائلتك بدون أن تفهم هذه الأشياء وتوقن بها تمامًا هل فهمت؟

- نعم سيدي..

- الآن، كيف استيقظت في مكان لا تعرفه وسط عمال لم ير أحد منهم ما حصل لك؟

- حقًا؟ هل تسألني أنا؟ أنا الذي استيقظ وهو لا يعرف اسمه..

- جيد جدًا، لا تفسير، كيف تذكرت ابنتك وأنت تنظر لابنة رجل آخر وهو بالتأكيد لم يختطفها؟

- اممم..

- لا تفسير، كيف تذكر زوجتك بينما بيتك لا يوجد فيه سواك ولا أثر لفتاة صغيرة أو امرأة؟

- في الحقيقة هـ..

- غير العبوة التافهة.

- لا أدري..

- كيف تفسر وجود الكلمات هنا على جدران هذه المستشفى؟

- آاه أتعلم ماذا أيضًا؟ أخطأت في الغرفة قبل أن أدخل هنا إليك ودخلتُ إلى غرفة فتاة صغيرة في هذا الرواق، أتعلم ماذا قالت لي؟

مال سوب على راميرد واتسعت عيناه وقال:

- ماذا قالت لك؟

- ما بك؟

- فقط قل لي.. ما الذي قالته لك؟

- قالت: "- والد كيلتي؟ مرحبًا بك"..

- الآن كيف تفسر هذا؟

- لا أعرف! حسنا؟ أخبرني ما الأمر!

- هل تذكر الشخصين اللذين تراهما دائمًا؟

- نعم.. اسمهما سكوت وتشار أو شيء كهذا..

- أتذكر حين تذكرت كلامك معهما عن تجربة ما؟

- امممم.. دعني أذكر.. تجربة؟ آه نعم!

- ولكن هذا الفأر الصغير لا ذنب له!

- هل نجري التجربة على إنسان؟

- يا إلهي! هل أنت أحمق يا واتشر؟ لماذا إما إنسان وإما هذا الفأر؟ ألا تملك قلبًا؟ أنا أرفض الدخول معكما في هذه التجربة..

- إذن انسحب منها أيها الطفل الجبان..

- ولكن هذا لم يحصل يا سوب.. أم.. أم حصل؟

- اربطه بالباقي يا فتى..

- ما الباقي؟ سوب أنا لا أفهم! ما علاقتهما بما أنا فيه؟

- أنت الضحية يا فتى.. هذا ليس واقعك يا عزيزي راميرد المسكين.. ليس واقع أي منا.. نحن في عالم افتراضي لعين، ألا تفهم؟

- ما الذي.. تـ.. سوب لا تـ.. أنا لا أ..

بدأت الألوان تتلاشى من حوله.. صار كل شيء رماديًا.. ثم عم السواد كل شيء حوله وسقط على الأرض فاقدًا وعيه.

***

- هل تريد اللعب يا موريس؟

- حسنًا.. ماذا سنلعب؟

- سنلعب اللمسة..

- يا تايا لقد مللت هذه اللعبة.. هلا لعبنا لعبة أخرى رجاءً؟

- كان.. كان فلاتي يلعبها معي.. لم يكن يتضجر مثلك..

- حسنًا ولكن فلاتي الآن ركب قطار السحاب كما أخبرني العم جونيو العجوز.

- نعم.. هل ستلعب معي بدلًا منه؟

- حسنًا ولكن سـ..

سمع الجميع فجأة صوتًا نزع قلوبهم من أماكنها.. صوت تشقق في السماء لا يعلمون مصدره، ثم تحولت السماء بأكملها إلى اللون البرتقالي، كان المرضى يصرخون ويجرون واتسعت أعين الحراس ولم يستوعب أحد ما يحصل، وصرخ أحدهم:

- اليوم نهاية العاااالم!

***

- قم يا راميرد.. قم يا رجل..

- مـ.. ما الذي.. ما الأمر؟

- انظر إلى السماء! انظر!

نظر راميرد من زجاج نافذة غرفة سوب ورأى ما يحصل..

السماء برتقالية اللون والشجر ينمو بسرعة ثم تسقط أوراقه ثم تنبت الشجرة من جديد.. في دقيقة واحدة.. تحول جزء من الأرض وصار سائلًا كالماء.. بدأ أحد الأشخاص يسبح فيه.. الرياح شديدة.. وكان هناك وجه قد رسمه السحاب.. وجه مألوف لراميرد.. وجه لا يريد إلا أن يراه من جديد..

- كيلتي..

- ماذا؟

- انظر إلى هذا السحاب يا سوب.. هذا وجه ابنتي هناك..

- نعم.. رائع.. الآن هل تفهم سبب ما حصل؟

- بسبب.. أني !!!.. ما الذي قلته لي قبل قليل؟

- أنت في حلم لعين يا رجل! أنت في تجربة ما..

- هههه حلم؟ ما مشكلتك يا سوب؟ هل جننت أنت أيضًا؟

- اسمع يا راميرد! انظر ما الذي حصل بمجرد أن أدرك عقلك أن واقعك مزيف؟ كل شيء أصبح غير منطقي، كل شيء ينهار، بمجرد أن عرف عقلك ما أصابك.

- مـ.. ههه ما الذي تقوله يا سوب؟

- هذه الحقيقة! انظر.. هذا الرجل يسبح في الأرض! انظر إلى الشجرة الكبيرة في الحديقة، هل يبدو هذا طبيعيًا بالنسبة إليك؟

- كل شيء على مسؤوليتك..

- لا تخافا يا رفاق.. ما أسوأ ما يمكن أن يحدث لي؟ احقناني بهذا السائل هيا..

- أنا أذكرهما.. كانا يخليان مسؤوليتهما مني..

- يجب أن تخرج من هذا الحلم اللعين، تبا لهذه التجربة ولمن فكر فيها..

بدأت الأمور تعود لطبيعتها تدريجيًا وتوقفت الأشجار عن النمو السريع وهدأت الرياح وقال راميرد لسوب:

- ما الذي يحصل الآن؟

- بدأ عقلك يعتاد الفكرة.. سيكمل هندسة كل شيء كالطبيعي.. ولكنه يعلم أنك تحلم.

- إذن كانت..

- مجرد صدمة لعقلك ليس إلا.. هذا ما حصل معي قبل عشرين سنة..

- لحظة واحدة.. ما الذي حصل معك؟

- سيأخذ هذا بعض الوقت..

- سيأتي الحارس لإخراجي الآن، صحيح؟

- لا لا.. إنهم مشغولون بما يحصل.

- إذن.. هم ليسوا حقيقيين؟

- كلا.. عقلك هو الذي رسم وهندس كل شيء، كالأحلام الطبيعية يا فتى!

- ولكن.. (أحلامي الطبيعية) لا تدوم كل هذا الوقت!

- وهذا هو تأثير ذلك السائل، الحلم لا ينتهي إلا بعد أن ينتهي تأثير السائل في جسدك، وهذا ما تدور التجربة حوله، تجربة صنع عالم افتراضي يدخل فيه الشخص ليبقى فترة معينة ويفعل ما يشاء ثم يعود إلى الواقع وكأن شيئًا لم يحدث.

- أنت تمزح.. صحيح؟

- هل تظن أني أمزح؟

- إذن.. أنا نائم في معمل ما منذ وجدت نفسي في هذا العالم؟

- ربما.. وربما عدلوا أشياء فيه وصار الوقت يمر هنا أبطأ من العالم الواقعي.. كانوا يفكرون في ذلك قبل وضعي تحت تأثيره ولكنهم احتاجوا تجربة مبدأية اولا..

- ماذا تعني أن يصير الوقت أبطأ؟

- أعني أنا كنا نريد ان ينام الشخص لخمس دقائق بينما يعيش سنوات في الحلم..

- يا إلهي! هل هذا مسموح؟

- كلا.. ولكن يبدو أن صديقاك فعلوا كما فعل رفاقي معي قديمًا.. أخلوا مسؤوليتهم منك وتحملت كل شيء وحدك..

- سوب هذا أمر يُذهب العقل تمامًا! تجربة على عقل شخص ليعيش في عالم آخر؟ ما هذا؟ من صاحب هذه الفكرة الملعونة؟

- اممم.. كان هذا مديري في العمل..

- ماذا؟

- أنا أول شخص على حد علمي تُجرى عليه هذه التجربة.. فكر فيها مديري واتفقوا على أني الشخص المناسب.. وكنت متحمسًا لهذا.. وخططت للكثير من الأشياء التي أردت فعلها في عالم غير واقعي.. ثم انتهى الأمر بي هنا.. كان كل شيء واقعيًا أكثر من اللازم.. وحين دخلت هنا لم أعرف في بادئ الأمر كيف

وصلت إلى هنا.. مثلك تماما.. ثم بدأت أذكر أشياء كثيرة وعندما كنت أنام كنت أرى ذكريات.. لا أحلام.. مثلك أيضًا..

- لحظة لحظة لحظة.. إذن الذي كنت أراه في منامي هي ذكرياتي؟ لحظة واحدة! ابنتي وزوجتي في انتظاري بالفعل؟!

- نعم.. لهذا أخبرتك من قبل أن ابنتك ربما ستكون امرأة بالغة قبل أن تراها من جديد..

- لا لا لا.. لا لن يحصل هذا معي.. لن أبقى هنا حتى أشيخ في عالم لعين افتراضي! لابد أن أعود لواقعي.. لابد..

- وكيف تخطط لذلك؟

- لا أعلم.. لابد أن هناك طريقة!

- لابد أن تموت..

- ماذا؟

- لابد أن تموت هنا حتى تستيقظ..

- ولكن.. أتعني أن أقتل نفسي؟

- نعم.. استنتجت هذا مما حكيته لي..

- ما الذي استنتجت ذلك منه؟

- أتذكُر عندما أخبرتني أنك كنت عند صديقك ثم شردت في خيالك وأخبرك أنك كدت تلقي بنفسك من الشرفة؟

- نعم..

- عندما شردت كنت قد تركت التحكم لعقلك.. فحاول إخراجك من هذا الحلم عن طريق سحبه لجسدك ليُلقي بك من مكان عال فتستيقظ..

- ماذا؟ سوب هذا لا يصدق بتاتًا..

- وأخمن أن هذا تكرر عند الطبيب النفسي.. أخبرتني أنك شردت عنده وبعدها حكما عليك بالإتيان إلى هنا.

- هل..

- نعم، لقد حاول عقلك رميك من نافذة الغرفة التي كنتم فيها..

- سوب هذا كثير على العقل ليتحمله!

- أعرف.. فقط أريدك أن تعود إلى ابنتك وزوجتك.. لا أريد لأحد أن يصير حاله مثلي هكذا..

- لماذا لم تحاول أنت قتل نفسك لتخرج من هنا؟

- لقد حاولت! كثيرًا.. ولهذا تجد الورقة المعلقة على باب غرفتي هنا.. (م.ح).. تعني ميولًا انتحارية..

- آهاا.. ولماذا لم تنجح في قتل نفسك إذن؟

- هذا الذي أخمن أنه أحد التحسينات التي قاموا بها لجعل هذه التجربة أكثر أمانًا.

- ما هو؟ أتعلم يا سوب؟ كان عليك أن تصير محققًا! أنت بارع جدًا في هذا.

- أشكرك.. كثرة الصمت والمراقبة تزيد عندك هذه القدرة، والآن.. أنا أخمن من جديد أن موتي هنا هو موتي في الواقع..

- ماذا؟ ولمَ؟

- عندما حاولت الخروج من هذا العالم قبل عدة سنوات وجدت أن عقلي يُسخر الواقع ليمنعني من قتل نفسي.. فخمنت أن عقلي الباطن يعلم أن موتي هنا هلاكي.. ولكنه لا يمنعك أنت بل يشجعك.. لأن فيه نجاتك.. بالخروج من هنا والعودة لحياتك.. ربما..

- و.. كيف يعلم العقل ما هذا وما ذاك؟

- عقلك الباطن يا فتى.. ذكرياتك مخزنة هناك ويعلم تفاصيل التجربة، أنت لا تذكرها ولكنها مخزنة عنده ويعلمها تمام العلم.

- يا إلهي! كيف تفعل هذا؟ أنت عبقري بالفعل!

- أشكرك.. والآن.. عد إلى زوجتك وابنتك، و.. أريد طلب خدمة منك..

- ما هي؟

- إذا خرجت من هنا في أحد الأيام.. ابحث عني.. أريد أن أخرج من هنا.. أخرجني بأي طريقة أرجوك.. أريد أن أعلم هل تزال زوجتي حية أم لا.. لا أعلم كم مر على جسدي هناك.. ربما بضع ساعات وربما سنوات.. أنا بالتأكيد ما زلت حيًا.. اعثر عليّ حين تخرج يا راميرد.. اسمي في الواقع هو (دوك منتوجامري رولز)، (سوب) هذا هو اسمي في هذا العالم وقد اعتدت عليه.. هل تعدني يا راميرد؟

- أعدك أني سأحاول يا سوب..

- أشكرك.

- والآن.. كيف عليّ أن أقتل نفسي للخروج من هذ الكابوس اللعين؟

- لديك الحق في اختيار طريقة موتك يا سيدي..

- هههههههه.. حسنًا.. أريد ذلك أن يكون الآن قبل أي وقت.. اقتلني أنت!

- هههه ماذا؟

- هيا.

- ولكن كيف؟

- أيها العبقري ماذا حصل لك؟ افعل أي شيء، اخنقني..

- أنا رجل عجوز يا فتى..

- تستطيع فعلها، هيا.

أحاط سوب رقبة راميرد بكفيه وبدأ يخنقه..

- لا أصدق أن هذا لصالحك ولكن.. هذه الحقيقة..

ظل يحاول خنقه حتى فتح أحد الحراس الباب فرآهما.

- ما الذي تفعلانه أيها المختلان اللعينان؟

انهال الحارس ضربًا على سوب ونادى على زملائه بينما بدأ راميرد يلتقط أنفاسه وينظر إلى سوب الذي انهال عليه الحارس ضربًا.

-آاه.. لا.. لا تضربه..لا..

جاء زميلان للحارس وانهال أحدهم ضربًا على سوب مع زميله بينما كان سوب يحيط رأسه بذراعيه وقد أسقطوه أرضًا، بينما أخرج الثالث صاعقًا كهربائيًا.

- كنت أريد تجربة هذا الجميل على أحدهم في وقت ما هههههه.

بدأ راميرد يزحف حتى خرج من الغرفة ونظر حوله فوجد عددًا من الحراس والعمال والمرضى قادمين ليشاهدوا ما يحصل، نظر أحد الحراس إلى راميرد وعيناه متسعتان وعلم أنه فعل شيئًا ما فكان قادمًا نحوه يجري من آخر الرواق.. وبدا أنه سيقوم بأذية راميرد بشدة حين يضع يده عليه.

وقف راميرد ثم بدأ يجري وهو ينظر إلى النافذة الكبيرة في آخر الرواق..

- لابد أن تموت هنا حتى تستيقظ..

- ولكن.. أتعني أن أقتل نفسي؟

- يا إلهي يا إلهي يا إلهي.. لا أصدق أني أفعل هذا..

***

- سنلعب لعبة الصراحة.

- حسنًا.. اممم هل تحبين أحدًا ما؟

- هههههه توقف يا موريس.

- لابد أن تجيبي..

- اممممم.. حسنًا.. هل تعرف راميردي؟

- راميرد.. الجديد؟ نعم أعرفه..

- هذا هو.

***

كان راميرد منطلقًا كالبرق ناحية النافذة.. دخل الجميع غرفة سوب إلا هذا الحارس.. كأنه أقسم على الإمساك به..

تجهز راميرد للقفز من النافذة و..

- تحبينه فعلًا؟

- نعم..

- يا إلهي انظر إلى الأعلى يا موريس!

- ما الأمر؟

- لم يخبرني عزيزي أنه يستطيع الطيران!

***

(7)

يحكي راميرد:

لم أصدق سوب في بادئ الأمر وظننتُ أنه مجنون بحق، وأنهم قد وضعوه في المكان الصحيح.. حتى بدأ يثبت لي ما يقول، كل هذا فعلًا لا يجوز في أي منطق أن يكون واقعيًا أو حقيقيًا، لقد كان كل هذا وهم كبير.. يا إلهي.. كيف لم أنتبه لذلك؟

عندما قفزت من هذه النافذة أول ما فعلته هو النظر لأسفل.. رأيت تايا.. لم أتبين ماذا كانت تفعل.. هل كنت أهتم وأنا في موقف كهذا؟ نعم..

كنت أريد العودة فقط لزوجتي وابنتي وحياتي التي أعرفها بمجرد أن عرفت حقيقة ما أنا فيه.. ولكني سأفتقد هذا العالم.. سأفتقد تايامارين وسوب الذي تظنه أباها.. هههههه هذه المجنونة

الجميلة.. سأفتقد فلاتي الذي قرر عقلي أنه من المنطقي أن يقتل نفسه.. سأفتقد الحلاق الذي كان في شارعي.. شارع مايتا مايا.. من أين أتى عقلي بهذه الأسماء على كل حال؟ لا يهم..

سأفتقد موريس.. حتى ريلبي سأفتقده.. سأفتقد هؤلاء الرفاق كثيرًا عندما أعود إلى عالمي.. آه لحظة واحدة.. هم لا وجود لهم.. يمكنك أن تدعوهم (رفاقي الخياليين).. آه نعم إلا سوب بالطبع.. هل استيقظت بعدما ارتطمتُ بالأرض؟

***

- حسنًا توقف! اهدأ يا واتشر.. هذه إحدى نوبات غضبك وأنت تعلم ذلك.. عليك أن تتمالك أعصابك..

- اصمت يا ابن الـ***.

جلس واتشر على كرسي وأسند رأسه إلى كفه بينما ظل سكونوت واقفًا ينظر إليه.

- أنا آسف يا واتشر.. لا عليك..

- اصمت..

حينها..

- واتشر انظر! لقد قام نولير!

- أ.. ماذا.. مـ.. أين أنا؟

- ماذا رأيت إذن؟

ثم نظر إلى سكونوت وقال:

- أحضر دفتر ملاحظاتك أيها الأحمق، سنقوم بصنع التاريخ الآن.

- أ.. أين أنا؟ ما الذي يحصل؟ لحظة.. كان سوب على حق..

- من يا صغيري؟ هيا يا سكونوت قبل أن ينسى ما رأى!

- سيد..

- آاه.. راميرد، اسمي راميرد.

- سيد راميرد، لقد عرفت عنوانك الآن، صحيح؟

- آاه نعم، أعني كلا.. لقد عرفت العنوان ولكني لا أعرف أين هو..

- يا إلهي.. كان حلمًا بالفعل.

- أنت تمزح، صحيح؟

- هل ترى أن هذا موقفا مناسبا للمزاح، أنت غير متزوج يا راميرد، أنت أعزب منذ عرفتك.

- ومنذ متى تعرفني؟

- أنت تعمل في المدرسة عندي منذ سبع سنوات.

- نولير هل ستخبرنا بما رأيت أم ستظل شاردًا هكذا؟

- هل يمكن أن أسألكِ سؤالًا خاصًا يا تايا؟

- بالطبع.. أي شيء يا موردي موري.

- هههه حسنًا.. اممم.. لماذا أدخلوكِ إلى هنا؟

- آآاه.. هذه قصة قديمة حزينة.. هل لديك الوقت لتسمع؟

- هههه الوقت؟ هل تمزحين؟

- أعني.. هل تريد قضاء بعض الوقت في الاستماع لقصة فاشلة مثلي؟

- تايا! لستِ فاشلة، أتعلمين؟ أنتِ أجمل فتاة رأيتها في حياتي، أنتِ أجمل من كل العاقلات في الخارج..

- أنتما.. أنتما من فعل بي هذا؟

- ماذا؟ عن أي شيء تتحدث؟ هل فقدت عقلك؟

- فقدت عـ.. هههههه سأريك فقدان العقل يا ابن الـ*.**

قام نولير وبدأ يضرب واتشر ودافع الآخر عن نفسه حتى أتى سكونوت وبدأ يفصل بينهما.

- أيها الـ.. مجرمان اللعينان أتعلمان ماذا فعلتما بي؟

- اهدأ أيها اللعين! عن ماذا تتكلم؟

- سأدمر حياتيكما.. أنتما الاثنان.. سأرفع عليكما قضية ولن تخرجا من هذا سالمَين.. لقد.. لقد كنتما تعبثان بعقلي..

- الجميع يخطئ.. صحيح؟ أنتِ أيضًا تخطئين ولكن والدك يسامحك صحيح؟ وكذلك أمك..

- ولكن.. لا أحب الشجار.. أنتما تشاجرتما وأنت أخبرتني أن أبتعد عن الذين يحبون الشجار..

- لا لا.. نحن لا نحب الشجار، نحن أخطأنا وهذا صحيح.. ولكننا والداكِ اللذان يحبانك، حسنا؟ هل تسامحين والدكِ؟

- ابنتي! أريد العودة لابنتي الآن وإلا.. وإلا..

أمسك بأنبوب زجاجي وكسره وجعل نصفه الأعلى في يده وهددهما قائلًا:

- سأقتلكما إن لم أر ابنتي اليوم.

- ما مشكلتك يا نولير؟ هل جننت؟ اذهب لابنتك هل سنمنعك؟ لابد أن السائل أفقدك عقلك تمامًا..

نظر ناحية الباب وقال:

- ابتعدا عني.

ابتعد الاثنان عن طريقه وكلاهما ينظر إلى الآخر متعجبَين مما يفعل.

خرج نولير من باب المعمل وشق طريقه حتى خرج من المنشأة بأكملها، كان الوقت ليلًا، أخرج محفظته وبدأ يسأل عن عنوان بيته ليصل إليه.

كان يسير في الظلام ينظر حوله، يشعر أن كل شيء مختلف ولا يعرف السبب، كان يشعر بدوار خفيف ولكنه صمم على رؤية ابنته وزوجته الآن، لقد طال غيابه عنهما.

***

- ما الذي حصل له؟ ماذا رأى في هذه الأربعين دقيقة اللعينة؟

- هل هذا مهم الآن؟ سيدمر ابن الـ*** مستقبلنا إن أبلغ السلطات، أنت تعلم أن تجربتنا هذه غير مصرح بها..

- يدمر مستقبلنا؟ هههه لا أظن ذلك يا عزيزي..

***

- كيلتي.. سآتي إليكِ يا صغيرتي.. هذه المرة سآتي إليكِ حقًا.. أبوكِ قد عاد..

***

- أمي.. لماذا تأخر أبي؟

- لا أعرف يا عزيزتي، اتصلت به مرارا ولا أحد يجيب.. ربما يبيت في عمله الليلة..

***

- عزيزتي.. زوجك قادم.. كان لديكِ حق في كل ما قلتيه.. لم يكن ينبغي عليّ أن..

كان يسير ببطيء شديد وكان يشعر أن رأسه ثقيلة جدا، كان يفتح عينيه بصعوبة ليرى الطريق ثم تتثاقلان من جديد، ليس في الشوارع أحد.. الوقت متأخر.. أصوات كلاب تعوي من بعيد.. أشجار على جانبي الطريق.. وخزة في عنقه ثم.. اللون ينسحب من كل شيء..

***

- افتحي الباب يا كيلتي، لابد أنه أبوكِ..

جرت كيلتي ناحية الباب ثم قبل أن تفتح نادت:

- من بالباب؟

كم كان يشتاق إلى هذا الصوت..

- كـ.. كـ.. كيلتي ابنتي.. أنا والدكِ يا كيلتي يا حبيبتي افتحي!

- أبي أبي أبي!

فتحت الباب ثم ارتمت في حضنه.. شعر أن جسده كله يذوب.. نزل على ركبتيه وبدأت عيناه تدمعان وهو ممسك بها بشدة.

- لن أتركِ من جديد يا حبيبة قلبي.. أعدك..

- مـ.. ما الأمر يا أبي؟

- لا شيء يا حبيبتي..

قبلها على رأسها وقال:

- فقط اشتقت لكِ.. كثيرًا..

جاءت زوجته وابتسمت عندما رأته يعانقها وقالت:

- مرحبا بعودتك يا حبيبي، لماذا تأخرت هكذا؟

رفع عينيه ونظر إليها.. شعرها البني الناعم.. عيناها الواسعتان..

- حبيبتي..

قام وعانقها قائلا:

- اشتقتُ لكِ..

كانت قد لاحظت الدموع في عينيه فقالت:

- ما الأمر يا حبيبي؟ هل هناك خطب ما؟

- كلا كلا.. لا شيء..

- اتصلت بك مرارا.. لم ترُد..

- لا بأس لا بأس.. ها أنا هنا الآن.. في بيتي الحبيب.. أخيرًا..

نظرت في عينيه وقالت:

- نوليز هل هناك خطب ما؟

نظر إلى ابنته وكانت عيناه قد امتلأتا بالدموع وبدأت تسيل على خديه وقال لها:

- هيا نامي الآن يا عزيزتي.. الوقت قد تأخر.

- أبي لماذا تبكي؟

قالتها وقد بدا عليها الحزن.

ذهب إليها وجلس على ركبتيه وقال:

- حصلت مع والدك بعض المشاكل في العمل لا تقلقي.. هيا نامي الآن وسنتحدث فيما بعد..

- حسنًا أبي.. كما تحب.

ذهبت كيلتي إلى غرفتها في حين عاد واحتضن زوجته من جديد وبدأ يبكي قائلًا:

- لقد كدت أهلك.. تعالي سأخبركِ بما حصل.

جلس نولير مع زوجته وحكى لها كل شيء في حين كاد عقلها يطير، ولولا أنه فسر لها الأسباب العلمية لما حصل في عقله من تلاعب لما صدقته.. بعد أن انتهى من سرد قصته نام كلاهما.. نام نولير بعد أصعب يوم مر عليه في حياته.. وأطول يوم..

***

- سأحافظ على ابنتك بكل ما أوتيت من قوة يا سيدي..

- هل تعد بذلك؟ في السراء والضراء؟

- في السراء والضراء وعلى كل حال.. أعدك..

- حسنًا إ..

- استيقظ يا نولير.. لقد أكثرت من النوم..

- مـ.. ما الأمر؟

- هل كنت تحلم من جديد؟

- مـ.. يا إلهي.. كنت أحلم باليوم الذي تقدمت لخطبتكِ فيه..

- فعلًا؟ هههههه يا له من أمر لطيف..

- نعم.. كم الساعة الآن يا عزيزتي؟

- إنها السابعة، هيا قم.

- حسنًا.

- آه صحيح.. هناك رجل اتصل بك منذ ساعة تقريبًا وطلب القدوم لزيارتك ووافقتُ.. أرجو أن لا يغضبك هذا؟

- ماذا؟ من هو؟

- لا أعرف.. قال أنه صديق قديم وطلب أن يأتي لرؤيتك.. شعرت بالحرج ووافقت أن يأتي..

- يا إلهي.. حسنًا حـ..

طرق الباب فنظر كل منهما إلى الآخر ثم قالت:

- لا يمكن أن يكون هو.. إنها السابعة صباحًا.. من قد يذهب إلى أحدهم في السابعة صباحًا؟

- انتظري.. سأفتح أنا الباب..

قام ومسح وجهه وخرج وكان الباب لا يزال يُطرق.

- حسنًا أنا قادم انتظر!

فتح الباب في حين قال ضيفه:

- مرحبًا صديقي!

- مـ.. ما..

- ما الأمر؟ ألم تفتقدني؟

- سـ.. سـ.. سوب؟ ولكن.. ما الذي..

لماذا لا ينفك البعض يشكُّون في هذا الواقع؟ هل هو بالفعل واقعنا أم.. هناك شيء قد فاتنا؟ أحيانا أجد أيامًا كاملة قد مُسحت من ذاكرتي، هل هذا جنون؟ هل يدل على شيء ما لا أفهمه؟ هل حدث معك ذلك من قبل؟ هل نحن مجانين؟ ما احتمال أن يكون واقعنا هذا غير حقيقي؟ يا إلهي كم يرهقني التفكير في ذلك.. أرجو فقط أن يكون نولير بخير..

للتواصل مع المؤلف:

- 01121308794

- https://www.facebook.com/mo7ammadon